ملخص البحث

يتناول هذا البحث وصف ظاهرة المحاكاة الصوتية، وتحديد مفهومها ،وبيان موقف النقاد منها ، ثم استجلاء وجود هذه الظاهرة في شعر الحطيئة ؛وذلك من خلال اختيار ألفاظ يوحي صوتها بمعناها ،أو من خلال تكرار بعض الأصوات التي لها دور في دلالة الألفاظ، وقد تم ذلك خلال ثلاثة محاور :وهي الفكرة ،والصورة ، والموسيقى .وقد قام الباحث بتحليل القصائد ـ التي اختارها ـ تحليلا صوتيا أسهم في إضافة إيحاءات جديدة في القصيدة ، وهذا التحليل الصوتي يعد إضافة إلى التحليل الأدبي والبلاغي ،ومنهجا من مناهج تحليل النص الشعري.

الكلمات المفتاحية: المحاكاة الصوتية ، دلالة الكلمات ،التكرار الصوتي، الفكرة ،الصورة ،الموسيقى ،الجهر، الهمس.

Abstract

This study is about a description of the theory of onomatopoeia ، defining its concept and showing the critics opinions. In this study، the researcher applied this theory on Al-Hatea poetry. By repeating some sounds that had a role in knowing the meaning of the words. It was applied on three items of Al-Hatea poetry ، they were : idea، image and tone. The researcher conducted a phonetic analysis on the poems which he chose. The phonetic analysis contributed to adding a new features in for poem . this phonetic analysis is considered to literary and rhetorical analysis that used as an approach of poetic text analysis .

key words :Onomatopoeia ، meaning if words ، phonetic repetition

المقدمة

الحمد لله الذي بيده مقاليد كل شيء ،والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين. وبعد

فإن اللغة العربية بحر متلاطم الأمواج يحتاج إلى صبر وأناة للغوص في مياهه ،حتى يخرج الغواص بلؤلؤة من كنوزه المطمورة في أعماقه ، واللغة بأصواتها وكلماتها لها وقع آثر في خيال الشعراء ، فهم الذين يعرفون أسرارها لكثرة مدارستهم لها، وتذوقهم لحروفها، وإحساسهم بنبض كلماتها ،وأسرار أساليبها ،ومساهمة مني في إثراء الدرس الأدبي اخترت هذا الموضوع وهو:(المحاكاة الصوتية في شعر الحطيئة دراسة تحليلية نقدية)ويسعى هذا البحث إلى بيان أثر المحاكاة الصوتية في بناء القصيدة لدى شاعر من الشعراء المخضرمين ،وهو ينتمي إلى مدرسة شعرية عرفت بتجويد الشعر، والمكث حولا كاملا في تشييد بناء القصيدة الواحدة ؛ولذا أطلق النقاد عليهم هذه الألقاب (المنقحين ،والمجودين، وعبيد الشعر، وأصحاب الحوليات" وقد عد الدكتور النويهي الحكاية الصوتية من أهم الوسائل البلاغية التي جاءت في شعرهم إذ قال :"والأرجح أنهم إذا أعادوا قراءة ما نظموا فوجدوا فيه حكاية جاءت عن غير عمد فكروا في تجويدها واتقانها وإبلاغها درجة الكمال هذا فيما نرى هو الأصل المزدوج لهذه الوسيلة البيانية في الشعر القديم ،قدر منها استجابة طبيعية لحدة العاطفة، وقوة تمثل المعنى، وقدر يأتي من الروية، وإعادة النظر والتجويد [1] .

وأما المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يقف على ظاهرة المحاكاة الصوتية في شعر الحطيئة ،لاستكشاف بواعثها ، ودورها في النص ،وأثرها في بناء التجربة الشعرية ،ودورها في إضفاء إيحاءات ودلالات على النص الشعري، وهذا ما يسعى البحث إلى تأكيده وبيان أثره ، والمحاكاة الصوتية تعني بمناسبة صوت الكلمة لمدلولها، وخاصة أن حروف اللغة لها سمات خاصة فكل صوت له سمة تميزه عن غيره من حيث المخرج، والصفة، والقوة، والضعف وكل ذلك له علاقة وطيدة بدلالات الكلمات ، وهذا البحث يطرح عدة أسئلة سأحاول الإجابة عنها خلال هذه الدراسة وهي : ما مفهوم المحاكاة الصوتية في اللغة والاصطلاح ؟ ، وما آراء النقاد حول قبولها أو رفضها؟، وما أثرها في بناء القصيدة ؟، وكيف استطاع الشاعر الإفادة منها في بناء قصائده ؟.

([1])الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه تأليف الدكتور/ محمد النويهي الجزء الأول ط الدار القومية للطباعة والنشر ص ٧٨ .

وقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسيم البحث إلى تمهيد وثلاثة مباحث جاءت على النحو التالي:

التمهيد : ويشمل الحديث عن :

١ـ مدلول المحاكاة الصوتية في اللغة والاصطلاح . ٢ـ الدراسات السابقة .

٣ـ ملامح من حياة الحطيئة .

المبحث الأول : أثر المحاكاة الصوتية في الفكرة .

المبحث الثاني : أثر المحاكاة الصوتية في الصورة .

المبحث الثالث : أثر المحاكاة الصوتية في الموسيقى الداخلية.

وبعد ، فإني قد عكفت على هذا البحث حتى وفقني الله؛ ليخرج على هذه الصورة فيضيء جانبا من جوانب البناء الفني في القصيدة العربية، فإن أكن أصبت فبتوفيق من الله ،وإن كانت الأخرى فحسبي أني اجتهدت في تقديم رؤية من رؤى البناء الفني في شعرنا العربي القديم ،والله من وراء القصد ،وهو الهادي إلى سواء السبيل.

التمهيد

المعنى اللغوي للمحاكاة: وردت المحاكاة في لسان العرب بمعنى المشابهة، وذلك في قوله :" والمحاكاة المشابهة تقول فلان يحكي الشمس حسنا ويحاكيها بمعنى، وحكيت عنه الكلام حكاية، وحكوت لغة حكاها أبو عبيدة "[١]

وفي المعجم الوسيط " حكى الشيء حكاية أتى بمثله وشابهه ...و(حاكاه) : شابهه في القول أو الفعل أو غيرهما ".[٢] وإذا أضفنا كلمة (الصوتية بجانب المحاكاة) فتصير الكلمة المحاكاة الصوتية لكان لها معنى في الاصطلاح مشابها لمعناها اللغوي وقبل هذه الإضافة نتعرض لمعنى كلمة صوت في اللغة فأجد أنها جاءت في لسان العرب ":الصوت الجرس ...وقد صات يصوت ويصات صوتا ، وأصات وصوت به كله نادى ، ويقال صوت يصوت تصويتا فهو مصوت ؛وذلك إذا صوَّت إنسان فدعاه ، ويقال صات يصوت صوتا فهو صائت معناه صائح"[٣] ومعنى الصوت في المعجم الوسيط هو:" الأثر السمعي الذي تحدثه تموجات ناشئة من اهتزاز جسم ما "[٤] ووصف المحاكاة بقولي" المحاكاة الصوتية " يفيد أن المحاكاة الصوتية مصطلح له دلالات تخدم الدلالة الشعرية من خلال " محاكاة الكلمة بأصواتها للمعنى محاكاة طبيعية كأسماء الأصوات، والأفعال المضعفة، وغير ذلك ،وهذه تعرف بالمحاكاة الصوتية الطبيعية أو المحاكاة الأولية "[٥]

المعنى الاصطلاحي للمحاكاة الصوتية :

المحاكاة الصوتية هي :" اختيار ألفاظ يوحي صوتها بمعناها أو بجو عام من نوع خاص مثال ذلك قول امرئ القيس:

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

الذي يوحي بسرعة الحركة والاندفاع "[٦] وهذا التعريف يؤكد أن الأديب يختار ألفاظا توحي خلال أصواتها بمعانيها .والمحاكاة الصوتية تدخل ضمن مشاكلة اللفظ للمعنى التي تعد بابا من أبواب عمود الشعر التي حددها القدماء إذ قال المرزوقي:" وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما

([١])ينظر مادة (ح ك ي) في لسان العرب لابن منظور .

([٢])ينظر مادة (ح ك ي) في المعجم الوسيط ج١ .

([٣])ينظر مادة (ص و ت) في لسان العرب لابن منظور.

([٤])ينظر مادة (ص و ت)في المعجم الوسيط ج١ .

([٥])الأسلوبية والخطاب الشعري "الشريف الرضي نموذجا محمود أحمد الطويل ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ص ٧٩.

([٦])معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مجدي وهبة وكامل المهندس ط مكتبة لبنان ط الثانية ١٩٨٤م ص ٣٤٠ .

للقافية طول الدربة ودوام المدارسة "[١] وقد أدرك ابن جني حقيقة العلاقة بين أصوات الكلمة ومعناها ؛ ولهذا عقد لها بابا في كتابه الخصائص تحت عنوان " باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني " قال فيه : " اعلم أن هذا موضع شريف لطيف وقد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول والاعتراف بصحته "[٢] وبدأ ابن جني بعرض الفكرة التي أدركها الخليل بن أحمد فقال: قال الخليل :"كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة و مد فقالوا : صرَّ وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا : صرصر، ثم عرض ابن جني لفكرة سيبويه التي تعضد فكرة الخليل فقال: وقال سيبويه في المصادر التي جاءت علي الفعلان إنها تأتي للاضطراب والحركة نحو النقزان ، والغليان ، والغثيان ، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال " ثم أضاف ابن جني ما يعضد هذه الفكرة عندما تحدث عن المصادر الرباعية المضعفة ،وذلك في قوله :" ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة علي سمت ما حداه، ومنهاج ما مثلاه، وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة ،والقعقعة ....."[٣] ثم شرع في عرض الفكرة واستشهد عليها، ونماها، واستشهد لها بشواهد عديدة إلي أن وصل إلي الحديث عن مقابلة الألفاظ بأصواتها فقال :" فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف علي سمت الأحداث المعبر بها عنها ، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها ، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره ، ومن ذلك قولهم : خضم ، وقضم . فالخضم لأكل الرطب ؛ كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب . والقضم للصلب اليابس ؛ نحو قضمت الدابة شعيرها ، ونحو ذلك "[٤] وهذا الربط بين أصوات اللغة والمعاني التي وضعت لها، ليس بالأمر الهين الذي يدركه كل من فكر فيه، وإنما يحتاج إلي جهد ومشقة، وبحث وتنقيب وقياس الأمور بميزان العقل والمنطق، وفي ذلك يقول ابن جني :" فهذا ونحوه أمر إذا أنت أتيته من بابه ، وأصلحت فكرك لتناوله وتأمله ، أعطاك مقادته ، وأركبك ذروته ، وجلي عليك بهجاته ومحاسنه ، وإن أنت تناكرته ، وقلت : هذا أمر منتشر ، ومذهب صعب موعر ؛ حرمت نفسك لذته ، وسددت عليها باب الحظوة به "[٥] وهذا

([١])معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د/ أحمد مطلوب ط مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ج٣ ص ٢٦١ .ويراجع في ذلك شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ت أحمد امين، وعبد السلام هارون القسم الأول ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ص ١١.

([٢])الخصائص لابن جني ت محمد علي النجار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ج٢ ص ١٥٢ .

([٣]) الخصائص ج٢ ص١٥٣

([٤]) السابق ج٢ص١٥٧

([٥])الخصائص ج٢ص١٦٢

الباب الشيق الذي عقده ابن جني في كتابه يدل دلالة واضحة علي معايشته لأصوات اللغة والمعاني التي تتناسب معها ، ويؤكد مدي تقصيرنا في تناول هذه الفكرة التي لم ينتبه لها إلا القليل من الأعلام الذين فقهوها ومن هؤلاء ابن الأثير الذي نزع " منزع بعض اللغويين في محاولة عقد الصلة بين اللفظ ومعناه فهو يكمل ما بدأه "ابن جني " وأسلافه من علماء اللغة حول مناسبة الألفاظ للمعاني"[١] إذ نراه يقول :" اعلم أن اللفظ إذا كان علي وزن من الأوزان ثم نقل إلي وزن أخر أكثر منه فلابد من أن يتضمن من المعني أكثر مما تضمنه أولا ؛ لأن الألفاظ أدلة علي المعاني وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا لا نزاع فيه ببيانه وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة فمن ذلك قولهم : خشن ،واخشوشن ، فمعني (خشن) دون معني (اخشوشن) لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو ، نحو وأفعوعل "[٢] و قد أيد الإمام السيوطي ابن جني في فكرته هذه و نقلها من كتاب الخصائص، واستشهد علي صحتها بأقوال العلماء كالأصمعي، وابن دريد وغيرهم، وقال فيها :"فانظر إلي بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى والأسهل لما هو أدنى وأقل وأخف عملاً أو صوتا، وجعلت الحروف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملا، وأعظم حساً؛ ومن ذلك المد والمط فإن فعل المط أقوى ؛ لأنه مد وزيادة وجذب فناسب الطاء التي هي أعلي من الدال " [٣] ومع التسليم بوجود هذه الظاهرة في اللغة فإن ذلك لا يعني وجودها في كل ألفاظ اللغة " ولو راجعنا المعاجم العربية لعرفنا أن هناك كلمات كثيرة يستوي في معناها الصيغ المشددة وغيرها والمجرد منها وغير المجرد فمن ذلك مثلا :" بدأ يبدأ " و" أبدأ يبدئ " والقرآن الكريم خير شاهد علي أن معناهما واحد يقول الله تعالي :" **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**" [٤] ثم يقول عز وجل في موضع أخر :" **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ**" [٥] ومثله كذلك برقت السماء، وأبرقت ،وجنه الليل وأجنه إذا أظلم عليه وستره ،وحدت المرأة علي زوجها وأحدت بمعني تركت الزينة ، وخسرت الميزان وأخسرته أي

---

(١) بحوث ومقالات في اللغة د / رمضان عبد التواب ط مكتبة الخانجي بالقاهرة ط الأولى سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م ص ٢١.

(٢)المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير قدمه وعلق عليه د / أحمد الحوفي و د/ بدوي طبانه القسم الثاني ط دار نهضة مصر للطبع والنشر ط الثانية ص ٢٤١

(٣)المزهر في علوم اللغة وأنواعها للعلامة جلال الدين السيوطي شرحه محمد أحمد جاد المولي بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ج١ ط منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت ص٥٣

(٤)آية رقم ٢٠ من سورة العنكبوت.

(٥)آية رقم ١٩من سورة العنكبوت.

نقصته، وغير ذلك كثير "[١] وقد أدرك العقاد أن الحكاية الصوتية لا تكون في كل الحروف " إذ ليست كل الحروف سواء في حكاية الأصوات من أصوات الأحياء وأصوات الجمادات وإنما يقع بينها الاختلاف بمقدار صلاحها لحكاية الأصوات المسموعة فلا يلزم من مصاحبة بعض المعاني لبعض الحروف أن يكون ذلك شرطا ملازما لجميع حروف الهجاء "[٢] وأثبت العقاد أن بعض أصوات الكلمة يوحي بمعني من المعاني؛ ولذا فرق بين الميم عندما تكون في آخر الكلمة، وبين السين عندما تكون في آخر الكلمة فقال :" فالميم مثلا في أواخر الكلمات تدل دلالة لاشك فيها عند الاستماع إلي كلمات " كالحتم والحسم والحزم والحطم والختم والكتم والعزم والقضم والقطم و الكظم وأمثالها كلمات لا تخلو من الدلالة علي التوكيد والتشديد والقطع الذي يدل علي المعاني الحسية، كما يستعار أحيانا لمعني القطع بالرأي، والإصرار علي العزيمة ، وحرف السين علي نقيض الميم لدلالته علي المعاني اللطيفة، كالهمس ، والوسوسة ، والنبس ، والتنفس ... ولكنه يتغير إذا تغير موقعه من الكلمة "[٣] وانتهي العقاد من دراسته لهذا الموضوع إلي عدة نتائج نذكر منها :" أن هناك ارتباطا بين بعض الحروف ودلالة الكلمات ، وأن الحروف لا تتساوى في هذه الدلالة ؛ ولكنها تختلف باختلاف قوتها ، وبروزها في الحكاية الصوتية ، وأن العبرة بموقع الحرف من الكلمة لا بمجرد دخوله في تركيبها "[٤] وتوسط في عرض هذه الفكرة – من المحدثين – بين المؤيدين والمعارضين الدكتور إبراهيم أنيس فقال :" ونحن حين نتخذ طريقا معتدلا بين هؤلاء وهؤلاء، ندرك كل الإدراك أن في اللغة معاني تتطلب أصواتا خاصة ، وأن هناك من المدلولات ما تسارع اللغة للتعبير عنه بألفاظ معينة ، وربما كان من العسير حصر تلك المجالات اللغوية التي نلحظ فيها وثوق الصلة بين الأصوات والمدلولات ، ولكن منها بلا شك حين تكون أصوات الكلمة نتيجة تقليد مباشر لأصوات طبيعية صادرة عن الإنسان، أو الحيوان، أو الأشياء "[٥] ومن علماء اللغة من رفض فكرة ابن جني وقال : " إن أهل اللغة بوجه عام يطبقون علي رفضه ، ويرون أنه ليس هناك مناسبة بين اللفظ ومدلوله ، وليست هناك علاقة بين "الرمز" والشيء الذي يرمز إليه فكلمة "الرجل " "The man " " "I home " " "der mann" تدل علي" الرجل" في العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية دون أن يكون هناك تناسب بين أي صوت من أصوات هذا الرمز

---

(١) مقالات وبحوث في اللغة د/ رمضان عبدالتواب ص٢١

(٢) أشتات مجتمعات في اللغة والأدب عباس العقاد ط مؤسسة هنداوي ص٣٥

(٣) السابق ص٣٥

(٤)السابق ص٣٦

(٥) من أسرار اللغة د / إبراهيم أنيس ط الثالثة ١٩٦٦ ط مكتبة الأنجولو المصرية ص ١٣٠

وبين المسمى الذي يدل عليه"[١] وقد أيد هذا الرأي محمود فهمي حجازي فقال :" إن الرموز لا تحتمل قيمة ذاتية طبيعية تربطها بمدلولها في الواقع الخارجي فليست هناك أية علاقة بين كلمة حصان ومكونات جسم الحصان ، والعلاقة كامنة فقط عند الجماعة الإنسانية التي اصطلحت علي استخدام هذه الكلمة اسما لهذا الحيوان"[٢] .

وإنني أميل إلي القول بوجود الحكاية الصوتية في بعض أصوات اللغة ، وليس أصواتها كلها ، وأن من أصوات اللغة ما يتوافق مع المعاني التي توافق أهل اللغة عليها ، وأن الشعراء مع معايشتهم للغة وللتجربة الشعرية يستطيعون أن يوفقوا إلي الإفادة من إمكانات اللغة في هذا الجانب ، وأن إيحاءات الألفاظ كامنة خلف أصوات اللغة متفاعلة مع أنات الشاعر، وعاطفته الصادقة، وأن هذه الظاهرة ليست موجودة عند كل الشعراء ؛وإنما يوفق إليها من تغلغل في شعاب اللغة ، وغاص في بحورها، ورجع بزاد وفير يؤثر في وجدان المتلقين.

([١])فقه اللغة في الكتب العربية د / عبده الراجحي ط دار النهضة العربية للنشر والتوزيع ص٦٨

([٢])مدخل إلي علم اللغة محمود فهمي حجازي ط دار قباء للنشر والتوزيع ص١١

أهمية المحاكاة الصوتية:

وتكمن أهمية المحاكاة الصوتية في الأسلوب الشعري في التأكيد على العلاقة القوية بين الشكل، والمضمون، هذه القضية التي وقف النقد العربي حيالها متأملا فيها، ومفصلا لجذورها منذ كانت نبتة على أيدى النقاد العرب من أمثال الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني، وابن طباطبا، وابن رشيق القيرواني، وتتأكد هذه العلاقة في قول أحد النقاد "وهناك من جهة أخرى فئة من الكلمات تتمتع بتعبيرية داخلية وطبيعة كالكلمات التي تحاكي أصواتها أصوات الأشياء، أو كالكلمات الصوتية المعللة مثل "مظلم" أو "روتيني " حيث يقف الذهن فيها على علاقة بين شكل الكلمة ومعناها، وفرادة هذه الكلمات تكمن في هذه السمة التي لا تمتلكها معظم كلمات اللغة "[١] . " والمحاكاة الصوتية _إذن_ واحدة من طاقات كثيرة تمتلكها اللغة في التعبير، والإيحاء، وإبداع الدلالة حيث يتجسد المعني، وتصوره المخاطب لحظة سماعه للمنطوق "[٢]. وفي أثناء حديث الدكتور جابر عصفور عن الوزن الشعري نبه إلي العلاقات الصوتية ،وصلاتها بدلالة الألفاظ فقال :"وما دام الوزن الشعري ينبع من تآلف الكلمات في علاقات صوتية لا تنفصل عن العلاقات الدلالية والنحوية ،فلابد أن يستمد الوزن الشعري من أداة صياغته ذاتها أي من اللغة ، وليس من مجرد محاكاة فن آخر كالموسيقي"[٣]. والمعنى داخل الحكاية الصوتية يكون متميزا ؛ "لأنه يصاحبه شعور خاص يثيره عنصر المحاكاة الحي في التجربة، والعنصر الحسي في التجربة الشعرية يحدث _بدروه_ الاستجابة الموحدة في نفس المتلقي فتكون حكاية الصوت إثارة لمشاعر هائلة أهاجتها تلك الوحدات الصوتية و الصورة المقررة "[٤] .

الدراسات السابقة التي طبقت منهج المحاكاة في دراسة القصيدة :

١- يعد الدكتور محمد النويهي من أوائل الذين عنوا بظاهرة المحاكاة الصوتية ، وأهميتها في دراسة النص الشعري ، وقد تناولها بالحديث في كتابه "الشعر الجاهلي منهج في دراسته و تقويمه " وبين أن هذه الظاهرة موجودة في اللغة العربية ،و في اللغة الإنجليزية ، فقال : "وهذه وسيلة التفت إليها دارسو الشعر الغربي ، ووضعوا لها اصطلاحا خاصا فسموها "أنوماتوبيه" ؛ولكننا نزعم أن استعمال

([١])الأسلوبية بيير جيرو ترجمة منذر عياش ط الثانية ١٩٩٤ط دار الحاسوب للطباعة حلب مركز الانماء الحضاري ص٥٦٣

([٢])الأسلوبية والخطاب الشعري الشريف الرضي نموذجا محمد أحمد الطويل ص١٢٣

([٣])مفهوم الشعر دراسات في التراث النقدي د/جابر عصفور ط الخامسة ١٩٩٥ط الهيئة العامة للكتاب ص٣٠٢

([٤])البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث د/ مصطفى السعدني ط منشأة المعارف بالإسكندرية ص٦٠

شعرائنا القدامى لهذه الوسيلة لا يقل إن لم يزد عن استعمال الشعراء الإنجليز لها"[١] . ثم عرض لوجود هذه الظاهرة عند ابن جني في كتابه "الخصائص " واستعرض رأيه فيها " ونوه أن هذه الوسيلة مجهولة أو شبه مجهولة من نقدنا قديمه و حديثه على أهميتها البالغة ، واعتماد الشعر الجاهلي عليها اعتمادا عظيما حتى إننا لنزعم أنها كوسيلة بيانية أكبر أهمية من كل ما درسه البلاغيون من وسائل التشبيه و الاستعارة و الكناية "[٢] وتعرض لمن أنكر هذه الظاهرة بحجة أن اللغة في تطورها تنقطع فيها هذه الحكاية، وتضع للأشياء والأفعال ألفاظا لا علاقة لها بأصواتها وهيئاتها ،وتوسط بين المؤيدين والمعارضين لوجود الحكاية فقال: الذي يبدو لنا أن الرأي الصحيح يتوسط بين إنكار المنكرين وبين مبالغة ابن جني في دعواه فلا شك أن أصل هذه الوسيلة البلاغية في الشعر مثل أصلها في ألفاظ اللغة المفردة جاء عن غير عمد من مجرد صدق الشاعر وإرهاف حساسيته ، وقوة تمثله لمعناه ، وانفعاله بعاطفته حين يحاول التعبير عنها في أدائه الشعري"[٣] ودلل على وجود هذه الظاهرة خلال عرضه لأبيات تأبط شر في مدح ابن عم له ، وقدم المثال الثاني لوجود هذه الظاهرة في الشعر الجاهلي عندما تعرض لوصف علقمة بن عبدة لمجلس الشرب والغناء وذلك في قوله :

قد اشهد الشرب فيهم مزهر ريم والقوم تصرعهم صهباء خرطوم

كاس عزيز من الأعناب عتقها لبعض احيانها حانية حوم

وحلل هذين البيتين تحليلا جيدا انتهى منه إلى أن " الحكاية تنشأ من وضع الحرف في موضعه المعين من الجمل الشعرية التي صاغها الشاعر أو من تردده في كلمات متجاورة أو متقاربة ، منسجما مع الحالة العاطفية التي كان فيها الشاعر"[٤] .

٢- الدراسة الثانية : وهي للدكتور / مصطفى السعدني وجاءت تحت عنوان "البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث" ففي مبحث من هذه الدراسة تحدث الدكتور مصطفى عن المحاكاة الصوتية وقال: "إن المحاكاة الصوتية هي العملية الإبداعية التي يشكل الشاعر بواسطتها معطيات الواقع الذي يعيش فيه في ظل مخطط أخلاقي ينقل الشاعر محتواه القيمي نقلا متميزا إلى المتلقي كي يحدث فيه آثارا متميزة سبق أن عناها الشاعر أو عانى بعضها بشكل أو بآخر [٥] ثم تحدث

([١])الشعر الجاهلي منهج في دراسته و تقويمه د/محمد النويهي ص ٧٠

([٢])السابق ص ٧٠.

([٣])الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه د/ محمد النويهي ص ٧٨.

([٤])السابق ص ٩٨.

([٥])البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث د/ مصطفى السعدني ط دار المعارف ١٩٨٧ص ٦٠.

عن الأصوات التي تحاكي معانيها من مثل :تسف– نواح– تنادى– عويل– كركر...إلى آخر تلك الأصوات، واستشهد للتدليل على وجود هذه الظاهرة بأبيات لأدونيس (على أحمد سعيد) وحللها تحليلا أدبيا بين فيه كيفية توظيف الأصوات اللغوية للمعنى الشعري.

وأما الدراسة الثالثة فقد جاءت في كتاب "الأسلوبية والخطاب الشعري" الشريف الرضي نموذجا لمحمود أحمد الطويل، وفي الفصل الثاني من هذه الدراسة تعرض المؤلف للمستوى الصوتي في شعر الشريف الرضي، ورصد هذا المستوي في عدة ظواهر، وهي محاكاة صوتية بالأصوات المفردة، أو الحركات اللغوية الطويلة ،وتجسيد الدلالة بالفعل المضعف ،وبنية الكلمة، ونطقها الصوتي.

ملامح من حياة الشاعر :

الحطيئة هو "لقب لُقب به واسمه جرول بن أوس بن مالك بن جوية بن مخزوم وهو من فحول الشعراء، ومتقدميهم، وفصحائهم متصرف في جميع فنون الشعر من المدح، والهجاء، والفخر، والنسيب، مجيد في ذلك أجمع، وكان ذا شر، وسفه ونسبه متدافع بين قبائل العرب، وكان ينتمي إلي كل واحد منها إذا غضب على الأخرين، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم، ثم ارتد، وقال في ذلك :

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر

أيورثها بكرا إذا مات بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

ويكنى الحطيئة أبا مليكة، وقيل أن الحطيئة غلب عليه، ولقب به؛ لقصره ،وقربه من الأرض "[١] .

وقال عنه محمد بن سلام الجمحي : "وكان الحطيئة متين الشعر، شرود القافية، وكان راوية لزهير، وآل زهير، واستفرغ شعره في بني قريع "[٢] . وروايته للشعر لها أثر بارز في تشكيل شاعريته، وهذا الحوار الذي دار بينه، وبين كعب بن زهير، يبرز طريقته في صوغ القصيدة الشعرية، فقد قال لكعب بن زهير :"قد علمت روايتي شعر أهل البيت وانقطاعي، وقد ذهب الفحول غير وغيرك، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك، وتضعني موضعا فإن الناس لأشعاركم أروى ،وإليها أسرع فقال كعب :

فمَنْ للقوافي شانها مَنْ يحوكها إذا ما ثوى كعبُ وفوَّز جرولُ

يقولُ فلا يعيا بشيء يقولُهُ ومِنْ قائليها مَنْ يُسئ ويعملُ

---

(١)الأغاني ج ٢ بتصحيح الأستاذ الشيخ أحمد الشنقيطي ط مطبعة التقدم بشارع محمد علي ص٤١

(٢)طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ج١ ت محمود محمد شاكر قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر السفر الأول الناشر دار المدني بجدة ص ١٠٤

كفيتُكَ لا تلقى من الناسِ واحداً تنخلَ منها مِثْلَ ما يتنخلُ

يُثقِفُهَا حتى تلينَ مُتُونها فيقصِرَ عنها كل ما يُتمثلُ[١]

والحطيئة كان راوية للشعر، وينتمي إلي مدرسة عبيد الشعر التي قال عنها الأصمعي :" زهير والحطيئة وأشباههما (من الشعراء) عبيد الشعر؛ لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين، وكان الحطيئة يقول : خير الشعر الحولي المنقح المحكك "[٢] وندرك مما سبق أن الحطيئة كان يعيد النظر في القصيدة حتي تخرج مستوية تامة، وأنه يقف كان يقف حيالها، فيحذف عبارة، ويستبدلها بغيرها ولهذا اخترت هذا الشاعر لأبحث عن المحاكاة الصوتية في بناء القصيدة عنده؛ لأنه لا يرضى بما يقوله إلا بعد أن ينظر في أعطافه نظرة تدبر ونقد، وهذا ما دعا كعب إلي القول بتجويد الشعر حتي يستوي فلا يبقي فيه عوج، ولا تعقيد وتلك سمة من سمات عبيد الشعر وقد وصف الجاحظ صنيع الحطيئة وأستاذه زهير ومن سار علي نهجهم بقوله :" ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنه حولا كريتا، وزمنا طويلا، ويردد فيها نظره ، ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه ، اتهاما لعقله ، وتتبعا على نفسه، فيجعل عقله زماماً على رأيه، ورأيه عيارا على شعره ، وإشفاقا على أدبه ، وإحرازا لما خوله الله تعالى من نعمته ، وكانوا يسمون تلك القصائد : الحوليات، والمقلدات، والمنقحات، والمحكمات ؛ ليصير قائلها فحلا خنذيذا ، وشاعرا مفلقا"[٣] . ولعل معاودة الشاعر النظر في القصيدة واختيار ألفاظها بعنايه فائقة يساعدنا في الوقوف على المحاكاة الصوتية في شعره فهو حريص على انتقاء كلماته بأصواتها التي تناسب تجربته، وتحاكي صوره، وأخيلته، وتعبر عما يجيش في صدره من رؤى وأفكار، وهذا سيظهر لنا في الصفحات التالية من هذه الدراسة . ويؤكد ذلك قول أحد النقاد :"والتحق _الحطيئة _ بمدرسة زهير بن أبي سلمى تلك المدرسة التي أعارت الكلمة اهتماما خاصا، وحرصت عليها كل الحرص انتقاءً، واختياراً، وصقلاً، وتهذيباً، وتنقيحاً ومراجعة صوناً لها من التبذل ، وحفاظا لها من الاستكراه ... ولذلك نراه يعمل راوية لزهير وآل زهير ، ويتلقن في مدرستهم الخصائص الشعرية التي ميزتهم ويتدرب على نظم الكلم والتصرف في فنونه "[٤] .

---

(١)السابق ص ١٠٤.

(٢)الشعر والشعراء تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ج١ ط دار الحديث ص٧٨

(٣)البيان والتبين للجاحظ ت عبد السلام هارون ج٢ ط مكتبة الخانجي ط السابعة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ص٩

(٤)ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت دراسة وتبويب د/مفيد محمد قميحة ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ص١٠

المبحث الأول : أثر المحاكاة الصوتية في بناء الفكرة :

من الأفكار التي لها صدى في ديوان الحطيئة "التحسر على ما فات من الشباب" فعندما تتوالى الأيام ،وتمر السنون ، يحس الإنسان بالضعف يدب في بدنه دبا ويسري في عظامه القوية فتضعف ، ويصاب بنيانه بالتصدع ، وتضعف ذاكرته ويصبح منسيا حتى من أهله ، فإذا بهم لا يعبؤون به ولا بأقواله ولا بأفعاله ، وعلى الرغم مما ألم به إلا أنه ما زال متعلقا بالحياة راغبا فيها حريصا عليها ، والرجل إذا وصل إلى هذه المرحلة من العمر يختار له أهله بعيرا ذلولا حتى لا يسقط من عليه لضعفه ، وإذا حاول القيام لعمل ما ينهض على يديه وينحني ظهره ، ولا يستطيع حمل ردائه ، ويذهب بعض عقله فلا يسمع له ، وقد جمع الشاعر تلك الصفات في قوله:

إذا ذَهَبَ الشبابُ فبانَ منهُ فليسَ لِمَا مضى فيه لِقَاءُ

يَصَبُّ إلى الحياةِ ويشتهيها وفي طُولِ الحياةِ لهُ عَنَاءُ

فمنها أنْ يُقادَ به بعيرُ ذلولُ حين يهترشُ الضراءُ

ومنها أن ينوءَ على يديه ويظهر في طراقيهِ انحناءُ

ويأخذه الهُداجُ إذا هداهُ وليدُ الحيِّ في يدهِ الرداءُ

ويَنظرُ حولَه فيرى بنيه حِواءً من ورائِهُمُ حِواءُ

ويحلِفُ حِلفَةً لبني بنيهِ لأمسَوا مُعْطِشين وهم رواءُ

ويأمر بالجمال فلا تعشى إذا أمسى وإن قَرُبَ العشاءُ

إذا كان الشتاءُ فأدفئوني فإنَّ الشيخَ يهدمهُ الشتاءُ

وأما حين يذهبُ كلُّ قَرَّ فسربالُ خفيفُ أو رداءُ

تقولُ لهُ الظعينةُ أغنى عني بعيركَ حين ليس به غَناءُ[1]

بدأ الشاعر البيت الأول بقوله :" إذا ذهب الشباب فبان منه " فكرر صوت الباء أربع مرات ، وقد حاكى هذا الصوت الحالة النفسية التي يعاني منها الشاعر بسبب تقدم الزمن به ، وظهور أعراض الضعف عليه ، والباء :" صوت شديد مجهور يتكون بأن يمر الهواء أولا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه بالحلق ثم الفم ، حتى ينحبس عند الشفتين انطباقا كاملا "[2] والباء

([1])ديوان الحطيئة ص ٣٨.

([2])الأصوات اللغوية د إبراهيم أنيس ط مكتبة نهضة مصر بالفجالة ط الثانية سنة ١٩٥٠ م ص ٥٢.

بمخرجها تشي بالمعاناة النفسية التي أصابت الشاعر من جراء زحف الضعف تجاهه ، فقد ذهب الشباب ،وكأن الشباب مجسد أمامنا نشاهده وهو يغادر المكان عازما على عدم العودة ، وهذا التكرار يدل على الحسرة التي أصابت الشاعر؛ لأن الضيف الذي كان يقيم معه غادره ،ولن يعود إليه مرة ثانية ، ولعل وجود الشين المكرر في قوله :"الشباب " وهو من الحروف المهموسة التي توحي بالضعف الذي ألم بالشاعر، ومن صفاته هذا الصوت "التفشي " ومعناه " أن يشغل الصوت من عرض اللسان مساحة ينتج بها هذا الوشيش ، وتتسم الشين مع الضاد بالاستطالة ...وهذه الاستطالة تكسب الصوت ميزة على غيره من الأصوات"[1] ووقوع الشين بين الباء المكررة يوحي أن الحسرة بدأت عالية شديدة شدة حرف الباء ثم بدأت تضعف وتنتشر انتشار حرف الشين الذي يسهم في بناء دلالة الكلمة، ويشعر أن الضعف انتشر في جسم الشاعر ،ولم يعد يجد له علاجا بعد أن ذهب الشباب بلا عودة، وتركه يعاني هموم الشيخوخة التي حلت ببدنه ، ووجود صوت الألف في قول الشاعر :"الشباب ـ فبان ـ لما ـ لقاء " وإطالة المد بهذه الألف في الكلمات السابقة يسهم في الدلالة على التحسر والمعاناة والألم ، وخاصة أن هذه الكلمات جاءت بعد أداة النفي :"ليس" التي قطعت الأمل من نفس الشاعر وأوحت إليه باليأس من الحياة ،فالذي مضى منه لن يعود إليه مرة ثانية ،ويحاكي صوت الميم الذي تكرر ثلاث مرات في قوله :"لما ـ مضى ـ منه "حالة اليأس من عودة الشباب مرة أخرى ، ومع ما سبق من أحداث أجد أن الشاعر ما زال متعلقا بالحياة حريصا عليها متمسكا بأهدابها حتى النهاية ، ويتضح ذلك في قوله :" يصب إلى الحياة ويشتهيها " جاءت هذه الشطرة من البيت في ثوب الجملة الفعلية المبدوءة بالفعل المضارع "يصبُّ" والفعل المضارع يدل على استمرار الحدث، وهذا ما يتوافق مع الحالة النفسية التي لازمت حب الشاعر للحياة، وتعلقه بها على الرغم من المعاناة التي أثقلت كاهله ، والباء المضعفة في قوله :"يصبُّ" تعني أن الصبابة تمكنت من قلبه فزادت من تعلقه بالدنيا ، وتسهم حروف الحلق في الدلالة على هذا الحب فجاء صوت الحاء في قوله :" الحياة " وجاءت الهاء المكررة في لفظة " يشتهيها " لتدل على تمكن هذا الحب من نفس صاحبه ونقف إزاء الشطرة الثانية من البيت لنجدها جاءت في صورة الجملة الاسمية في قوله :" وفي طول الحياة له عناء " والمقابلة واضحة بين شطري البيت فالشطرة الأولى توحي بحبه للحياة واشتهائه لملذاتها ، والشطرة الثانية تؤكد حقيقة غابت عن هذا المحب، وهي كلما طالت حياة المرء في الحياة زادت معاناته ،فالحب والميل القلبي، واشتهاء الجوارح لمفاتن الحياة لم يشفع له في دفع النصب، والألم عنه ، فكلما أوغل المرء في حبه للحياة زاد تعلقه بها وزاد عناؤه وألمه.

([1])في التطور اللغوي د/ عبد الصبو شاهين ط مؤسسة الرسالة ط الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ص ٢١٠.

وتسهم الأصوات المهموسة في الإسرار بهذا الحب، والحرص على عدم إذاعته، فالمحب كتوم بطبعه، حريص على محبوبه ، لا يفشي له سراً ، ولا يذيع له خبرا حتى لا يكدر صفوه؛ ولهذا اختار الشاعر أصوات مهموسة سيطرت على هذا البيت الشعري وتمثلت هذه الأصوات في "الحاء – التاء– الشين–الهاء–الفاء–الطاء" بينما تمثلت الأصوات المجهورة في "الباء–الواو–اللام–العين" وهذا يتوافق مع نفسية الشاعر، وإن كان يخالف ما استقر عليه الاستقراء "على أن نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام لا تكاد تزيد على الخمس، أو عشرين في المائة منه في حين أن أربعة أخماس الكلام تتكون من أصوات مجهورة"[١] .

إن الشاعر حريص على جذب المخاطب حتى يذعن له ، ويصغي إليه بكل جوارحه ؛ ولذلك لجأ الشاعر إلي الإجمال الذي يشوق المخاطب ، ويجذبه لسماع ما يتلى عليه من كلام، ثم شرع في تفصيل ما أجمله ببيان العناء الذي ذكره في البيت السابق ، وذلك بقوله:" فمنها أن يقاد به بعير" ولو وقف عند هذا الحد لكفاه ،ولكنه وصف البعير بقوله : " ذلول " على صيغة فعول ، وهي من صيغ المبالغة ولعل تكرار صوت اللام في قوله :" ذلول " يوحي من خلال هذا التكرار أن البعير مدرب على السير فلا يفزع حتى وإن فزع ، وصوتت الكلاب من حوله ،فالشيخ على ظهر البعير آمن .

وجاءت لفظة "يهترش" بما فيها من الشين التي تتناسب مع معنى هذه اللفظة فالاهتراش بين الكلاب هو التقاتل والتدافع فيما بينها، وصوت الراء يدل على الشدة ،وهو من الأصوات المجهورة، والشين صوت يتسم بصفة التفشي وهو انتشار الهواء في الفم وهذه الحروف تتناسب مع دلالة الكلمة ،وخاصة إذا علمنا أن الشاعر أسند هذا الفعل إلي "الضراء" في قوله "يهترش الضراء" والضراء نوع من "أولاد الكلاب السلوقية التي تصيد و الجمع : الضراء " [٢] . وهذه الكلمة تحاكي المعنى الذي وضعت له فهذه الكلاب إذا تقاتلت يصيد بعضها بعضا، وإذا تحركت بجوار البعير تصيبه بالفزع، وخاصة إذا كان البعير غير مذلل، وهكذا نجد أن الشاعر يختار الكلمة المناسبة ،ويحرص عليها، ويضعها في مكانها الصحيح ،وأن أصوات الكلمة تسهم بما لا يدع مجالاً للشك في دلالتها، وتوحي بمعانيها.

في البيت التالي يقول الشاعر:

ومنـــــــها أن ينــوء علــى يديــه ويظــهر في تــراقيه انحـــناء

---

(١)الأصوات اللغوية د/إبراهيم أنيس ص٢٤

(٢)كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ت عبد الحميد هنداوي ج٣ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص١٦

جاءت كلمة ينوء وهي فعل مضارع، ومعناها يتحامل لينهض مثقلاً، ومنها النوء وهو السحاب المحمل بالمطر، والعرب إذا سمعوا كلمة نوء يتبادر إلى ذهنهم السحاب المحمل بالمطر، فهو يمشي وئيدا، وكذلك الرجل الذي أصابه الضعف لكبر سنه يعجز عن القيام ، ولا يقوم حتى يتحامل على يديه ،ويستعين بهما، وكأنه مثقل و محمل بأشياء تعوقه عن القيام فالكلمة بأصواتها تحاكي صورة العاجز عن القيام، وهذا يعني أن الشاعر مثقف ثقافة أدبية أهلته لأن يختار من كلمات اللغة ما يحمل فكرته، ويؤديها على خير وجه، فهو شاعر راوية و الرواية لها دور بارز في إنضاج موهبته الشعرية .

وسيطرت أصوات الحلق على معظم كلمات هذا البيت وهي : " الهاء، الهمزة، العين ،الحاء" وقد تكررت الهاء أربع مرات في قوله:" ومنها –يديه – يظهر – تراقيه" والهاء" صوت مهموس رخو(احتكاكي) مستفل مصمت مهتوت "[1] . ولعل مجيئ أصوات الحلق في هذا البيت لمحاكاة الحالة النفسية التي تصيب المرء عقب إحساسه بالضعف فكلمة "ينوء" تحاكي المعاناة التي تقع على كاهل الإنسان إزاء تفشي الضعف في جميع جسده، وأمارة ذلك أنه أصبح لا يقدر على القيام إلا إذا استعان بكلتا يديه، وكلمة "يديه" واشباع كسرة الهاء يحاكي هذا الضعف ، ويصوره في حالة انكساره ،ولا يكتف الشاعر بذلك بل يستقصي المعاني، ويكمل الصورة ؛لنشاهد هذا الرجل قد اعتراه الانحناء المتمثل في تراقيه، وقد جاءت أصوات كلمة :" انحناء" ؛لتصور الموقف خير تصوير، فقد تكررت النون مرتين ،وفصلت النون بين الحاء، والهمزة ،ومدة الألف التي قبل الهمزة تعلن عن هذا الضعف، فالحاء من الأصوات المهموسة، والهمزة من الأصوات المجهورة ،ومن أصعب الأصوات نطقاً ؛ولهذا حاكت حالة الرجل الذي اعتراه الضعف وخروجها مع الضمة المصاحبة لها إعلان عن الكبت النفسي والشدة التي أصابت الرجل فجعلته لا يُعْبأ به . وما زال الشاعر يعدد صفات الشيخوخة التي تصيب المرء

فيقول :

ويأخذه الهداج إذا هداه وليد الحيّ في يده الرداء

وألحظ أن الشاعر كرر صوت الهاء في البيت السابق أربع مرات منه وهي "ويأخذه– الهداج – هداه– يده" وورود الهاء في هذا البيت له إيحاء بالدلالة التي اشتمل عليها البيت فالهاء تحاكي الضعف الذي اتسم به الشيخ وقال العلماء عن صوت الهاء : " أما خفاء الهاء فلأنها مهتوتة ولا يتيسر مد صوتها وذلك لشدة اتساع ما بين الأوتار عند النطق بها فيتدفق النفس عند إخراجها ولا

([1])في الدرس الصوتي د/عبد المنعم عبد الله حسن ط الأولي ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ص ١٢٧

يكون في طريقه مضيق يحتك به احتكاكاً يسمع له حفيف ومن هنا فهي خفية لفقدها الزمير والحفيف كليهما"[١] . والضعف الذي وجدناه في صوت الهاء يتناسب مع الضعف الذي يتسم به الشيخ وقد اختار الشاعر كلمة "الهداج" وهي تطلق على كل شئ لا يستقر في موضعه، فالشيخ يهتز في مشيته، ويتلجلج وتهتز أطرافه وكذلك القدر يتهدج عندما يغلى، والهودج يهتز وتضطرب حركته لعدم استقراراه علي ظهر البعير، وتلك صورة نشاهدها في مِشية من تقدم به العمر، ولم يكتف الشاعر بذلك بل أسند إليه عدم القدرة على حمل ارذائه، والتخبط في تقدير الأمور إذ يقوده وليد الحي، وتلك ثالثة الأثافي فقد أصبح موته خيرا من حياته.

ويصف الشاعر حالات الضعف العقلي لدى المرء عندما يصاب بالشيخوخة في ثلاثة أبيات فيقول:

وينظر حوله فيرى بنيه حواء من ورائهم حواء

ويحلف حلفة لبني بنيه لأمسوا معطشين وهم رواء

ويأمر بالجمال فلا تعشي إذا أمسى وإن قرب العشاء

وصوت الحاء له الصدارة في هذه الأبيات فقد تكرر خمس مرات في عدة كلمات هي " حوله – حواء– حواء– ويحلف – حلفة" ،وهذا التكرار يحاكي حالة المتخبط في رأيه الذي يقوم بأعمال خارجه عن مسار العقل، فهو ينظر إلى بنيه نظرة المستريب كأنه لا يعرفهم، وأحيانا يقسم لبني بنيه أن الجمال عطشى مع أنهم قد شربوا ،وينتهي روي الأبيات السابقة بالهمزة المسبوقة بالألف ولعل وجود الحروف المهموسة في هذه الأبيات وهي " الهاء – الحاء– السين– الشين" لتشي بحالة الضعف التي تعتري المرء عندما يصل إلي سن الشيخوخة، ووجود الهمزة المسبوقة بالألف في نهاية كل بيت، وهي من الأصوات المجهورة الشديدة، يوحي بآهات هذا الشيخ الهرم ،ويؤكد انهزامه نفسيا جراء هذا الضعف، وكأن امتداد زمير الألف بمقدار حركتين على الأقل "أي ٢: ٣ من الثانية " وقد يزيد إلى ثلاثة حركات أو أكثر، ويليه زمير الهمزة المعصورة جد قصير لا يمتد زمنه " [٢]كل ذلك يتناسب مع نفسية الشيخ، ويؤكد مدى الحسرة والألم والاستغاثة من هول ما نزل به من محن، فألف المد الذي يسبق الهمزة بمثابة صراخ، وعويل، واستسلام للألم الذي دبّ في كيان هذا الشيخ. وندلف إلى الحديث عن الأبيات الثلاثة الأخيرة من هذه المقطوعة، وهي تتحدث عن عدم تكيف

([١])المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية د/ محمد حسن حسن جبل ط مكتبة الآداب ط الرابعة سنة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م ص ٦٩

([٢])المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية د/ محمد حسن حسن جبل ص ٧٨.

الشيخ الهرم مع البيئة التي يعيش فيها، فعندما يحل الشتاء تنهدم قواه، ويحتاج إلى الدفء، وفي الصيف يكفيه ثوب خفيف يستر جسده، وأما موقف المرأة منه فتبغضه، ولا تطيق صحبته، وتمل من حديثه، وتزجره، وتحثه على الابتعاد عنها؛ لأنه صار عاجزاً عن القيام بأموره الشخصية فكيف تلتفت إليه؟! ويقول الشاعر في ذلك:

إذا كان الشتاء فأدفئوني فإن الشيخ يهدمه الشتاء

وأما حين يذهب كل قرّ فسربال خفيف أو رداء

تقول له الظعينة اغني عني بعيرك حين ليس به غناء

وألحظ أن صوت الشين تكرر ست مرات في البيت الأول في قوله:" الشتاء –الشيخ –الشتاء" وهي تحاكي تفشي علامات الضعف في هذا العاجز عن تحمل حرارة الصيف، وبرد الشتاء، وكلمة "يهدمه الشتاء" تحاكي المعنى الذي وضعت له فالهدم لا يبقي شيء ، والضعف لم يترك للشيخ شيئا ينتفع به فلا برد الشتاء يتحمله ، ولا حر الصيف يطيقه ،وينتهي البيت الأخير بتكرار صوت العين بقوله:" الظعينة–عني–بعيره" وتجاور الغين العين في قوله:" أغني –غناء" وهما متقاربان في المخرج، وهما من الأصوات المجهورة ، وهما يحاكيان هوانه وضعفه، واجتراء الظعينة عليه ، وذيوع ذلك عنه ، وهكذا وصل به الضعف أن تحامته العشيرة ؛ لأنه صار عبأ ثقلاً عليهم جميعاً، وذلك من خلال الصفات التي عددها الحطيئة؛ ليستدر عطفنا تجاهه؛ وليوحي إلى نفوسنا بهذا المآل الذي صار إليه غيرنا وسنصير إليه. ومن الأفكار التي عرض لها الحطيئة فكرة المدح بالكرم وقد خص أبو عقيل عمرو بن مسعود بن عامر بن معتب الثقفي بهذا المدح فقال:

ألا آلُ ليلى أزمعوا بقفول وما آذنوا ذا حاجة برحيلِ

تنادَوا فحلّو للترحل عيرَهم فبانوا ببيضاء الخدودِ قتولِ

مبتلة يشفي السقيم كلامها لها جيدُ أدماء العشي خَذُولِ

وتَبْسِمُ عن عذب مجاج كأنه نُطافةُ مزن صُفِّقتْ بشمولِ

وعندما ننظر إلى الأبيات السابقة لنحللها تحليلا صوتيا نجد أن اللام تكررت في البيت الأول ست مرات، وهي من حروف الذلاقة " وواضح أنها مجهورة فإن معها زميرا، وأنها رخوة؛ لأن النفس لا يحتبس في مخرجها بل يمر "[1] ولعل سهولة مخرج اللام يحاكي هبوب قبيلة ليلى، واندفاعهم في سبيل الرحلة، وحرف الذلاقة جاء مصاحبا لست كلمات في البيت الأول، وكل كلمة ورد فيها يحتاج

([1])المختصر في أصوات اللغة العربية د/ محمد حسن حسن جبل ض ١٠٧.

إلي وقفة فوجوده مع الهمزة في قوله "ألا " يوحي بتنبيه الشاعر للمخاطب؛ ليشاركه في آلامه النفسية التي انداحت في شراييه إثر رحيل ليلى مع قومها، وقوله :" ليلى " وتكرار اللام والفصل بين اللامين بالياء، مع وجود الألف الساكنة بعد الياء يوحي بالتحسر، ومجيء الهمزة في قوله ألا مع الهمزة الممدودة في قوله ألا آل ليلى ، وقوله : آذنوا، يوحي بصراخ هذا المحب ، وعويله تجاه هذا الأمر الذي دبر بليل ، ولم يتنبه له الشاعر إلا وقت الرحيل بدليل قوله :" وما آذنوا ذا حاجة برحيل " وكنى عن نفسه بقوله :" ذا حاجة " ، ونكر كلمة حاجة لتناسب حال المحب ، فهو لا يكتفي بشيء واحد من المحبوبة ، وإنما يطمع في أشياء كثيرة ، وكلما حصل منها علي شيء ازداد طمعه وحرصه ، وجاء بكلمة "ذا " وأسندها إلي كلمة حاجة؛ ليدل علي أن المحب صاحب حاجة لا تنقضي أبدا .

ولعل كسرة حرف الروي في قوله :" برحيل " وقوله " قتول – خذول – شمول – ذمول " مع مدة الواو قبل اللام، يوحي بانكسار نفسه إزاء هذا الرحيل المفاجئ ومما يدل على شغفه بليلى أنه التقط لها صورة ساعة رحليها؛ لتظل هذه الصورة عالقة في مخيلته يستحضرها أينما شاء؛ ليتأنس بها، وليسري عن نفسه الهموم التي تثاقلت عليه ، ومما يدل علي أن قوم ليلى عجلوا الرحيل العطف بالفاء في قوله :" تنادوا فحلوا للترحل عيرهم فبانوا " فهذه السرعة المباغتة جعلته في حيرة من أمره، ولذا شرع في وصف ليلى وصفا يدل علي مدى تعلقه بها، وأول صفة لها قوله :" مبتلة " ولعل تضعيف التاء يزيد المعنى تحقيقا وثبوتا فهي منقطعة منعزلة لا يستطاع الوصول إليها ؛لأنها ممنعة في قومها فالوصول إليها صعب المرام ،ثم قال الشاعر :" يشفي " وصوت الشين يفيد انتشار الشفاء في جسد السقيم ،وصفير السين في قوله :" السقيم " يعني انتشار المرض في جسده والياء المسبوقة بالكسرة مع إطالة الصوت بها حالة نطقها، يوحي بالمعاناة التي أصابت السقيم، فالقاف من الأصوات " التي يرتفع أقصى اللسان حتي يلتقي بأدني الحلق واللهاة مع عدم السماح بالمرور من الأنف "[١] ، ولعل هذا الضيق، وتلك المعاناة التي تصاحب خروج صوت القاف، تدلنا أن كلمة السقيم بأصواتها تحاكي المرض الملازم لصاحبه، فالكلمة تدل علي كثرة السقم. ومن الأفكار التي عرضها الشاعر " وصف الناقة " وقد تعلق العربي بناقته؛ لأنها كانت الوسيلة التي تعينه علي البقاء في هذه البيئة القاحلة، فهي سفينة الصحراء التي يجوب بها القفار، وهي التي يبثها شكواه، ويسر إليها بهمومه؛ ولذا عندما يتحدث الشاعر عنها يصفها بالقوة، والصلابة، وشدة الخلق، وتطاير الحصى تحت أقدامها، وهذه الصورة أجدها في قول الشاعر: [٢]

([١])في الدرس الصوتي د / عبدالمنعم عبدالله حسن ص١٣٥

([٢])ديوان الحطيئة ص ١٥١.

فَهَلْ تُبْلِغَنّيكهَا عِرْمِسُ صَموتُ السُّرَى لا تَشَكّي الكلال
مُفَرَّجَة الضّبْعِ مَوَّراة تَجُذّ الإكامَ وتَنْفي النِّقالا
إذا ما النواعِجُ واكَبْنَها جَشَمنَ من السيرِ رَبوا عُضَالا
وإنْ غَضِبَتْ خِلْتَ بالمشفرينِ سَبَائِخُ قَطْن وزيرا نسالا

والتحليل الصوتي لهذه الأبيات يكشف عن تكرار صوت الكاف في البيت الأول ثلاث مرات في قوله :" تبلغنيكها – وتشكي الكلال، " وحرف السين في قوله " عرمس– السري "، وقد أتي بكلمة ثقيلة في النطق مع أنه لو استعاض بكلمة أخف منها لفظا لحقق المعنى المراد منها؛ ولكنه عمد إلى الإتيان بهذه الكلمة " تلبغنيكها"، ومع ثقلها في النطق إلا أنها ناسبت المعنى ، فالرحلة التي عزم عليها الشاعر رحلة شاقة ، وتحتاج إلي جهد شديد قد يؤدي إلى تلف النفس ، ولكنه عزم عليها، واستحضر ناقة لها مواصفات خاصة قادرة علي خوض غمار هذه الرحلة ، وأول صفة لهذه الناقة :" عرمس " واجتماع صوت العين الحلقي مع صوت الراء المتكرر الذي يحتاج إلي جهد عضلي خاص، مع صوت السين التي لها صفير خاص يميزها عن غيرها من الأصوات، كل ذلك يؤكد تفرد هذه الناقة ، وكلمة "عرمس " اسم للصخرة ، وقد نعت الناقة بهذا الاسم للدلالة علي قوتها ، وأنها صارت صخرة من الصخور الملقاة في الصحراء تتحمل تقلبات هذه البيئة ، وقد شبهها بالصخرة، ولكنه لم يفسح عن هذا التشبيه ، وإنما قال "عرمس " أي هي "عرمس" ، وقد دلت أصوات الكلمة على معاني العظمة والشموخ والقوة والصلابة ، وهي مع قوتها سلسة القياد تطيع راكبها، ولا تعصي له أمرا .

والصفة الثانية من صفات هذه الناقة أنها "صموت" والصاد من أصوات الصفير ، ويأتي صوت النون بعد صوت الصاد مضمومة؛ لتمهد لصوت الواو ، والضمة نصف الواو ، ومدة الواو توحي أن الصمت صار صفة ملازمة لهذه الناقة ، فهي لا ترغو ، وكأن رغاء الناقة يعد شكاية تشعر صاحبها أنه أجهدها في هذه الرحلة الشاقة التي تتطلب صبرا جميلا حتي تنتهي بسلام ، وهكذا نجد أن إطالة المد بالواو في قول الشاعر صموت يوحي بدلالات إضافية تخدم المعنى، وتشعر المتلقي أنه إزاء عمل فني عكف عليه الشاعر كما يعكف الرسام علي لوحته ليرسمها، ويضيف إليها من روحه، وعقله ما يشي بعالمه الفني الأصيل، ويضيف الشاعر كلمة صموت إلي كلمة السرى، وصفير السين المكررة، والمدغمة والمشاكلة بالضمة يشعر بالخوف الشديد، والفزع من هذا الصفير الذي يعبر عن هول هذه المرحلة التي دارت أحداثها في الليل البهيم الذي يوحي بالخوف، والهلع والفزع من هذه الهضاب التي يسير الشاعر فيها؛ ليصل إلى الممدوح خلال هذه الناقة

المتفردة في صفاتها، لتشاكل هذه الرحلة العظيمة، ويستكمل الشاعر بناء لوحته عن هذه الناقة فيقول:" لا تشكي الكلال" وصوت الشين يتسم بصفة التفشي ويوحي بأن الشكوى ستنتشر بين الناس ، ولكن الشاعر نفى هذه الشكاية في قوله "لا تشكى" كما أن تضعيف الكاف له دلالة عجيبة ؛ لأنه يفيد أن الشكوى ليست شكوى واحدة، ولكنها شكايات عديدة ثم يقول :" الكلال" فكرر اللام وفصل بين اللامين بألف المد، وهذا يوحي بأن التعب مستقر في كل عضو من أعضاء الناقة، ولكنها معتصمة بالجلد، والصبر فلم ترغ ، ووصف هذه الناقة بالسرعة فقال :" مفرجة الضبع موَّارة" ، وكلمة مفرجة جمعت بين صوتي الميم والراء، وهما من الأصوات المتوسطة بين الشدة، والرخاوة ، وهذا يعني أن هذه الناقة خلت من الشحم الذي يعوقها عن السير، وضعف صوت الراء؛ ليثبت من خلاله مشاكلة صوت الحرف للحركة التي تقوم بها الناقة ، فهذه الحركة السريعة أصابت عضد الناقة بالخلو من الشحم الذي يعوقها عن الحركة، والسير في دورب هذه الفيافي المترامية الأطراف ، ولجأ الشاعر إلى تكرار بعض الأصوات من خلال ظاهرة تضعيف الصوت ؛لأن المعنى لا يصلح بدون هذا التضعيف، وذلك نلمحه في قوله : "الضبع – نوارة" فقد كرر الضاد و الواو؛ ليثبت لهذه الناقة خفة الجسم، وسرعة الحركة، ثم دلل على سرعة هذه الناقة ، وتفوقها على غيرها من النوق في قوله :

إذا ما النواعج واكبنها جشمنا من السير ربوا عضالا

وعندما نحلل هذا البيت تحليلا صوتيا، نلحظ أن ألف المد، كررت خمس مرات فيه، وهي من الحروف التي عدها الخليل بن أحمد الفراهيدي هوائية عندما قال : "في العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرف صحاح لها أحياز ومخارج ، وأربعة هوائية وهي : الواو، والياء، والألف اللينة، والهمزة،...إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف ، وكان يقول كثيرا : الألف اللينة، والواو، والياء، هوائية أي أنها في الهواء"[١] وقد عالج هذه القضية – أعني وضع الهمزة مع الحروف الثلاثة– الدكتور كمال بشر في كتابه علم الأصوات[٢] والذي نعول عليه من كلام الخليل أن خروج الهواء حال نطق الألف في أريحية تامة، يوحي إليَّ بغبطة نفس الشاعر وهو يصور ناقته ، وهي تسبق مثيلاتها، وتجهدهن حتى يصبن بالإعياء المتمثل في الربو، وهو علو النفس من كثرة تردده في الجو، وهذا يعني عجز هذه النوق عن المسير بجوار ناقة الشاعر ، وتمثل هذا العجز في ذلك الربو الذي صاحبهن حتى صار لهن داء عضالا يصعب

(١)كتاب العين للخليل بن أحمد تحقيق د/ عبد الله درويش مطبعة العاني بغداد ١٨٨٦-١٩٦٧م ج١ ص ٦٤

(٢)لمزيد من التفصيل يراجع كتاب علم الأصوات للدكتور كمال بشر ص١٥٧ وما بعدها ط طبع دار غريب

الشفاء منه "وحرف المد لا ينطق به منفصلا فقد قرن بالصوت المتحرك قبله"[١] ، والصوت المتحرك قبله هو الفتحة التي تناسب الألف ، وهو هنا يشعر بالفخر والفرح ؛لأن ناقته بذَّت غيرها من النوق ، وفازت عليهن ، وهذا ما جعل الشاعر يتباهى بذلك.

ويصف الشاعر ناقته حال غضبها فيقول:

وإن غضبت خلت بالمشفرين سبائح قطن وزيرا نسالا

حروف الحلق في هذا البيت تكررت خمس مرات، وهي الهمزة، والعين، والخاء ، ولعل تكرار هذه الحروف يوحي بأن الغضب خارج من بين حنايا صدر الناقة في صورة جرح ينزف دما يبدو أثره في مشفريها، كأنهما قطعا من القطن المنتوف الذي يتساقط قطعاً قطعاً؛ لينذر بهول غضبها، وهذا يعني أننا أمام ناقة صلبة قوية، لا يستطاع ترويضها، والتحكم في أمرها إلا من فارس خبير له مواهب عديدة ، وقدرة فريدة في تذليلها، والسير بها في هذه الأرض الموحشة، ولن يكون ذلك الفارس إلا الحطيئة ، وما زال الشاعر يتحدث عن سرعة ناقته، فهو لن يترك هذا المعنى إلا بعد أن يفصله تفصيلا، ويستوفيه من جميع جوانبه، وتلك سمة من سمات عبيد الشعر الذين عكفوا على شعرهم يحوكونه، ويجودونه حتى تخرج القصيدة تامة الخلق محكمة النسج؛ ولهذا يقول الشاعر :

وتَحْدُو يَدَيْهَا زَجُولا الحَصَى أمَرَّهُمَا العَصَبُ ثُمَّ استمالا

وكلمة "وتحدو" كرر الشاعر صوت الواو مرتين، وهو من الحروف الشفوية الرنانة، وهذا ما دعا " بعض الباحثين إلى نظمهما في سلك ما سموه بالأصوات الرنانة ،أو الرنينيات، وهي اللام، والنون، والميم، والراء، والواو، والياء "[٢] ، وهذا الوصف يتناسب مع دلالة الكلمة؛ لأن الحدو هو الغناء للإبل حتى تسرع في سيرها، وقد تكرر حرف الميم واللام في هذا البيت ، وهما من حروف الذلاقة ، وتمتاز عن غيرها من الأصوات " بكثرة دورنها على اللسان وخفتها في النطق... وقوة الوضوح السمعي"[٣] وهذا كله يتوافق مع سرعة هذه الناقة دون زجر من صاحبها ، وأن الحصى يتقاذف من بين يديها ، وهذا يدل على شدة صبرها واندفاعها نحو غايتها في سهولة ويسر، ويكمل الشاعر الفكرة في البيت التالي فيقول:

---

(١)أسرار الحروف أحمد زرقة ط دار الحصاد ط الأولى ١٩٩٣م ص٢٤

(٢)علم الأصوات د/ كمال بشر ص ٣٥٧

(٣)السابق ص٣٦٦

وتُحْصِفُ بعد اضطرابِ النُّسوع كما أحصَفَ العِلْجُ يحدُو الحِيالا

ويصف الناقة بسرعة العدو بعد أن ضمر جسدها، وصار النسع يتحرك فوق ظهرها، ويضطرب بسبب ضمور جسدها، وعدوها السريع؛ ولهذا شبه الشاعر عدوها بعدو الحمار الوحشي الذي يجري خلف أتنه التي لم تلقح بعد ، فهو حريص عليها يرغب فيها ، ويسوقها سوقا سريعا ويعدو خلفها ، وقد اختار الشاعر صوت "الصاد، والسين"، وهما من أصوات الصفير ؛ليعبر من خلالهما عن هذا السباق فأزيز الصاد والسين وصفيرهما يحكي هذا الجو المبهج لهذه الناقة التي تعدو؛ لتصل إلى غايتها، وغاية صاحبها. ثم يبين الشاعر سرعة ناقته وقت اشتداد حرارة الشمس فيقول:

تُطِيرُ الحَصَى بِعُرى المَنْسِمَيْنِ إذا الحاقِفاتُ ألِفنَ الظِّلالا

ففي وقت الهاجرة تمشي الناقة بسرعة فيتطاير الحصى من تحت خفها ، وفي هذا الوقت بالذات تلجأ الظباء إلى كنِّها من شدة حر الهاجرة، وقد بدأ الشاعر البيت بقوله:" تطير" و"التاء، والطاء" من الأصوات المشتركة في المخرج، وفي بعض الصفات ، فالطاء "لا تفترق عن التاء في شيء غير أن الطاء أحد أصوات الإطباق ، فالطاء كما ننطق بها الآن صوت شديد مهموس يتكون كما تتكون التاء غير أن وضع اللسان مع الطاء يختلف عن موضعه مع التاء فاللسان مع الطاء يتخذ شكلا مقعرا منطبقا على الحنك الأعلى "[1] ويجتمع معهما صوت الراء وهو صوت تكراري ، وهذه الأصوات الثلاثة تحكي صوت الحصى المتطاير تحت منسم الناقة، ثم يصف الشاعر حدة نظر ناقته، ويشبهها بالمرآة المصقولة فيقول :"

وتَرمِي الغُيُوبَ بِمَاويتينِ أُحْدِثَتَا بَعْدَ صَقْل صِقَالا

فقد كرر الشاعر صوت" الصاد، والقاف، واللام، في كلمتين متتاليتين ، ولعل صفير الصاد يوحي بوضوح هذه المرآة ونصاعتها وقوتها، وأن صانعها تعهدها بالصقل حتى صارت ناصعة البياض ، وهذا يشعر بقوة عين الناقة التي تخترق الحجب ، وتسير في المفاوز المهلكة لهدف تسعى إليه ، وبسرعة لا تدرك ، وهذا يعني أن هذه الرحلة التي عني بها الشاعر كانت رحلة أمل في حياة مشرقة تطلع إليها الشاعر ، واليأس يكاد يحطمه؛ لأنه ذاهب في مفاوز مهلكة، والخطب العظيم الذي ألم به يمنع عنه النوم، فهو إما هالك أمام الخليفة العادل عمر بن الخطاب أو ناج ؛ ولهذا غلب جانب النجاة، واختار ناقة لها خصائص معينة فصلها الشاعر تفصيلا ؛لأن نجاة هذه

([1])الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ص ٥٨.

الناقة في هذه الرحلة يعد نجاة له في القضية المعروضة أمام الحاكم العادل عمر بن الخطاب؛ ولذا أرى أن هذه الناقة تعد معادلا موضوعيا للشاعر ، وأن ارتباط الشاعر بها هذا الارتباط لدليل واضح علي ذلك ؛ ولذلك حشد الشاعر كل طاقته الفنية ليرسم لناقته هذه الصورة المحكمة التي تدل علي أنه شاعر صنَّاع عكف على قصيدته حتي خرجت محكمة النسج .

ومن الأفكار التي عرضها الشاعر قصيدة "المدح" التي دبجها في سعيد بن العاص يوضح فيها حسن سياسته للأمور، ونجاحه في التصدي للعدو، وشجاعته في الصدع بالحق ، وبعده عن ارتكاب الفواحش، وفي ذلك يقول:[1]"

لَعَمرِي لقد أمسَى على الأمرِ سائسُ بَصِيرُ بِمَا ضَرَّ العَدُو أرِيبُ
جَرِيءُ على ما يكرَهُ المَرْءُ صَدْرُهُ وللفاحشاتِ المُنْدِياتِ هَيُوبُ
سَعِيدُ وما يفعلْ سعيدُ فإنَّهُ نَجِيبُ فَلاهُ في الرِّباطِ نجيبُ

وعندما نحلل الأبيات السابقة تحليلا صوتيا نلحظ أن الشاعر كرر صوت الراء ست مرات ، وهذا التكرار الصوتي له دلالة تدل على الفرح والسرور إزاء هذا الذي يسوس الناس ، ويحسن إليهم فضلا عن الموسيقى الناتجة عن ذلك الصوت المكرر، ويشارك في هذا الاستقبال البهيج صوت السين بما له من صفة الصفير الناتج عن " احتكاك أشبه بالصفير نتيجة انحصار الصوت بين الشفتين، وعدم وجود مجرى متسع للخروج سوى مخرج ضيق بينهما "[2] ثم يأتي الشاعر في البيت الثاني بكلمة جرئ على وزن فعيل، وهي من صيغ المبالغة، وهذه اللفظة بأصواتها تحاكي معني الجراءة، وكسرة الراء الممهدة لصوت الياء، والمعلنة عنها والهمزة التي يليها التنوين، كل ذلك يعني أن هذه اللفظة تحاكي معني الجراءة بكل صورها سواء كانت في الأقوال، أو في الأفعال، وصوت الراء من الأصوات التي تكررت في البيت الثاني فقد تكررت أربع مرات، ولعل هذا التكرار يوحي بتكرار الشجاعة لهذا الممدوح حتى أصبحت لازمة من لوازمه، فهو يكره قلبه على تحمل الشداد وتأتي كلمة :" والفاحشات " التي كرر فيها ألف المد مرتين، وجاء صوت الشين الذي من صفاته التفشي والانتشار، وجاء بعد صوت الألف التاء المكسورة، وكل ذلك يدل على أن هذه الكلمة بأصواتها تحاكي معناها فكل شيء قبيح يسمى فحشا، وتفشي الشين يقابل تفشي الفحش وانتشاره، وهو من الصفات الذميمة؛ ولذا نفاها الشاعر عن الممدوح بعد أن وصفها " "بالمنديات " وهذه الكلمة بأصواتها المتقاربة في المخرج تنفر من الفاحشة ؛لأن الجبين

([1])ديوان الحطيئة ص ٥٠.

([2])ديوان الحطيئة ص٥٠

يندى لها، ويعروه الخجل والفزع، ومجيء هذه الأصوات مجتمعة في كلمة واحدة وهي، الميم، والنون والدال، والياء، يدل على أن الشاعر اختار الكلمة المناسبة؛ لتدل بأصواتها علي المعنى المراد منها، وأن أصوات الكلمة يمكن تقسيمها إلى قسمين الميم والنون من الأصوات الرخوة " لأن النفس يخرج معهما"[١] وأن الدال والتاء من الأصوات الشديدة التي جمعها القدماء في عبارة " أجدك قطبت " والانتقال من الأصوات الرخوة إلى الأصوات الشديدة في الكلمة الواحدة يعني أن كلمة "المنديات" جاءت بمثابة الإنذار الذي يطرق سمع الإنسان بشدة فيرده إلي صوابه، حتى لا يستمر في طريق الغواية، ويثوب إلي رشده. ثم يختم البيت بقوله "هيوب" التي جاءت على وزن "فعول" وهي من صيغ المبالغة التي جاءت فعول فيها بمعنى فاعل ، وهو يهاب المعاصي ويتقيها ، ثم يقول الشاعر:

سعـــيد وما يفـــعـ ل سعـــــيد فإنه فـــ ـــلاه فـــــي الـــربـــــاط نـــ ـجـــ ـ يب

وتتكرر صيغة فعيل في قوله :" سعيد– نجيب" ويتكرر صوت الفاء في هذا البيت أربع مرات، وهو من حروف الذلاقة و" معني الذلاقة: أن يعتمد عليها بذلق اللسان وهو طرفه ،وذلق كل شيء حده، وهي ستة أحرف اللام، والراء، والنون، والفاء والياء، والميم"[٢] ولعل تكرار الفاء يدل على انبساط أسارير الشاعر بالحديث عن هذا الممدوح، وحبه لهذه الألفاظ المقترنة بحروف الزلاقة، الفاء، واللام، والراء ويتكرر صوت اللين المتمثل في الياء التي لازمت الدال في قوله: "سعيدُ " ، وقوله : "نجيب" وتأتي الضمة الملازمة للدال في قوله:" سعيد" بما لها من الوضوح السمعي ما يجعلها " العامل الأساسي لقوة الأسماع...وتعد أساسا للوحدة الصوتية التي يكوّن منها العروضيون تفعيلات الشعر العربي "[٣] ثم يقول الشاعر:

سعيدُ فـلا يغررْكَ خفـةُ لحمِهِ تخـــدَّدَ عـــنـــه اللحـــمُ وهو ـــــليبُ

والمتأمل في البيت السابق يلحظ أن كلمة : "يغررك" تكرر فيها صوت الراء مرتين وهذا التكرار يوحي بمعنى الكلمة، فالوقوف على الراء، وتكررها يحكي معنى الغرر، بدليل مجيء الراء بعد الغين الحلقية؛ لأن انتقال النطق من الحلق إلى طرف اللسان يوحي بمعنى الخديعة، وأن الغرر لا يكون نابعا إلا من القلب ، وكذلك كلمة "تخدد " تكرر فيها صوت الدال مرتين؛ ليوحي بصلابة هذا الرجل، وقوته البدنية فقد اشتد جسده بعد ما تساقط عنه الشحم، وهذا دليل على قوة بدنه فليحذر الناظر إليه حتى لا ينخدع في أمره فيظن أن به ضعفا، وليعلم أن ذلك من

---

(١) المختصر في اصوات اللغة العربية د/ محمد حسن حسن جبل ص ٥٩

(٢)علم الاصوات د/ كمال بشر ص ٣٦١

(٣)في الدرس الصوتي ص ١٧٥

علامات بأسه وقوته ، ولعل تكرار الدال في نهاية الكلمة يحكي هذا الحدث العظيم الذي ألم بالممدوح ، وهو نحافة جسده بعد أن تخدد عنه اللحم، وقد جمع الشاعر بين أمرين متناقضين في الممدوح وهما نحافة الجسم ، وصلابة العود ، ولو قال تخدد عنه اللحم ولم يحترس بقوله : "وهو صليب" لعدَّ هذا الكلام من المدح الذي يراد به الذم ، والشاعر حريص على اختيار كلماته التي تفي بالغرض المقصود ؛ ولذا قال:

إذا خافَ إصعابا من الأمـــرِ صَدرُهُ عــَلاهُ بتــات الأمـــر وهو ركــوبُ

من يقلب النظر في هذا البيت يلحظ أن" الهمزة، والألف" لهما الصدارة في تكوين كلماته ، فقد تكررت الهمزة أربع مرات ، وتكررت الألف أربع مرات، والهمزة صوت "شديد لا هو بالمجهور، ولا بالمهموس؛ لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقا تاما، فلا تسمع لهذا ذبذبة الوترين ، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار ذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة"[1] ولعل الجمع بين الشدة ثم الانفراج التي تنتهي بنطق صوت الهمزة يوحي بالحالة التي عليها الممدوح، وهي مواجهة الشدائد، ثم التغلب عليها في النهاية، وأما الألف التي تكررت أربع مرات، فهي تحاكي الحالة النفسية للممدوح ، وتشي بالشدة التي يكون عليها المرء وقت مواجهة الشدائد، ولا يناسب ذلك إلا الألف المفتوح ما قبلها ؛ لأن خروج الزفير حال النطق بالألف يعد تنفيسا عن هذه النفس الملتاعة التي تواجه المخاطر بقلب ثابت ، ونفس مطمئنة قادرة على التغلب عليها، والعلو فوقها وقهرها؛ ولذا قال الشاعر :" علاه " والعلو يعني الانتصار، والتغلب على الصعاب مع رباطة الجأش، وقوة النفس التي تأبى إلا ركوب الصعب، وتذليله لمن هو دونه ويتسم الألف " بصفة الهاوي نظرا لانطلاق الهواء به دون عائق"[2] وينتهي البيت بكلمة ركوب التي جاءت على وزن فعول ، وهي من صيغ المبالغة التي تحاكي حال الممدوح الذي كثيرا ما يتغلب على الشدائد، ويسدد لها ضربات حاسمة تنتهي بتذليلها، وكأنها لم تكن ، ثم يبين الشاعر دور الممدوح في حضوره وغيابه فيقول:

إذا غــبت عنا غاب عنا ربيعنا ونُســـقى ا غـــم م الغ ـــر حـين تؤوب

إن التحليل الصوتي لهذا البيت يكشف أن صوت النون تكرر ست مرات، ويليه صوت الغين الذي تكرر أربع مرات ، ويليه صوت العين الذي تكرر ثلاث مرات، وهذه الأصوات المكررة لها دلالتها في النص الشعري ، فقد جمع الشاعر بين الغين والعين على الرغم من تقاربهما في المخرج، وفي بعض الصفات، ولكن تباعد فيما بينهما، فكل صوت منهما في كلمة، وهذا

([1])الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ص٨٣

([2])الدرس الصوتي د/ عبد المنعم عبد الله حسن ص ١٠٣

التكرار أكسب البيت موسيقى داخلية ، وعذوبه في نطقه، كما أن الشاعر كرر كلمة غبت وغابا ، وكرر كلمة "عنا" مرتين، وكل ذلك يدل على تعلق الشاعر بالممدوح فحضوره بالنسبة له، ولمن حوله حضور للحياة بما فيها من رخاء، ويسر، ورفاهية في العيش ، وغيابه بالنسبة لهم غياب لكل هذه المتع، وهذه الحياة الرغدة ؛ ولهذا جاءت الشطرة الثانية مصدرة بكلمة:" ونُسقى" وبناء الفعل للمجهول مع أن الساقي معلوم بالنسبة للشاعر ، ولكنه حريص على إبهام أمره؛ ليشوق السامع إلى معرفته وصوت السين في الكلمة السابقة يزف البشرى للشاعر، ولمن حوله بقدوم عطاء الممدوح خلال صفير السين الذي لا يستطيع أحد كتمانه فخير الممدوح يعم السهل، والجبل، وينتشر في كل مكان، ولا يمكن لأحد إنكاره أو ستره، والميم التي تكررت في كلمة :" الغمام" مع الفصل بينها بألف المد الذي يعني خروج الهواء مصاحبا لنطق الألف مع الإطالة في خروج ذلك الهواء، يوحي بالعطاء الذي ينتشر بين الناس لهذا الممدوح ، وكلمة " الغر" التي جاءت وصف لهذا الغمام تحاكي المعنى الذي سيقت من أجله بجمعها بين صوتي الغين والراء ؛لأن الوترين الصوتيين يهتزان عند نطق الغين، وكذلك يضرب طرف اللسان ضربات سريعة متكررة أثناء نطق صوت الراء ، وكل ذلك يشعر بالفرح والسرور لحظة قدوم الممدوح ، وقد انبعث هذا الطرب من خلال جهاز نطق هذه الأصوات؛ ليوحي بالمعنى المراد ، ومن هنا ندرك أن لأصوات الكلمة إيحاءات كثيرة في دلالة الكلمات ، وأنها تحتاج منا أن ندقق النظر فيها، ونستخرج منها التحليل الصوتي الأمثل الذي يشارك في الوقوف على عتبات النص الأدبي، فالقصيدة العربية لا تتوقف عطاءاتها أمام الناقد الذي يسبر أغوارها.

ولم يشأ الشاعر أن يقف عن هذا الحد من الحديث من كرم الممدوح، وإنما كعادته –وعادة عبيد الشعر– أن يستقصي المعنى ويأتي عليه فلا يترك شيء يستدرك عليه فيه وتلك عادتهم؛ ولهذا يقول :

فنعمَ الفتى تَعشُو إلى ضـــوءِ نارِهِ إذا الـــــرّيحُ هــــَبَّتْ والمكانُ جديبُ

إن من ينعم النظر في البيت السابق يلحظ أن كلمة "تعشو" جمعت صوت الشين وحركة الضمة التي قبل الواو، وهي نصف الواو، والشين من صفاتها التفشي وهو انتشار الريح في الفم عند النطق بالشين حتى يتصل بمخرج الظاء "[1]

ولعل هذا يتوافق مع حال الممدوح الذي ذاع صيته، وعم عطاؤه جميع الناس ،فنار قدره دائما موقدة، وجفانه يقصدها الرائح، والغادي ، وهكذا حاك صوت الشين حال الممدوح، ووافق الصوت دلالة

([1])نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد تأليف الشيخ محمد مكي نصر الجريس ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص ٥٨.

الكلمة ، وكلمة "ضوء "جاءت نكرة مضافة إلى كلمة "ناره " وهذا يدل على عظم هذه النار، وعظم القدور التي وضعت عليها، فالتنكير للتعظيم والتكثير ؛ولإبراز عظمة هذه النار ، وكلمة" ضوء "بدأت بصوت الضاد وهو " صوت شديد مجهور مفخم "[1] والضاد من أقوى الأصوات مع حروف تماثلها في القوة وهي "الطاء المهملة ، والظاء ، والقاف "[2] ولعل قوة الضاد في كلمة " ضوء " يتناسب مع قوة هذا الضوء، وشدته فهو منبعث من النار العظيمة الموضوع فوقها القدور، وكلمة "الريح" جمعت بين هذه الأصوات الراء، والياء، والحاء ، وقد وصف سيبويه الراء " بالتفشي إذا كان معها غيرها ، والتفشي يعني انتشار الصوت عند خروجه، وهذا واضح فإنها تبدو وكأنها عدة حروف لا حرف واحد "[3] والياء هنا ياء ممدودة ؛نظرا لكسرة الراء التي تسبق الياء ، وعند النطق بياء المد نلحظ" أن هواء الرئتين يمر بين الأوتار الصوتية زامرا ـ لتضايقهما – حتى إذا بلغ تجويف الفم ارتفع وسط مقدم اللسان أكبر ارتفاع ....وانفرجت الشفتان فنسمع صوت الياء الممدودة " ولعل اجتماع صوت الراء مع صوت الياء والحاء، يعني محاكاة هذه الكلمة لمعناها، فحركة الريح، وصوتها المزمجر يناسبه صوت الراء ؛لاضطرابها وانتشار هوائها ، وفزع الناس من هول حركتها ، وكلمة "هبت " مضعفة العين، وهذا التضعيف يزيد المعنى قوة وتكثيرا، ولعل ثقل النطق بالياء المشددة يتناسب مع هبوب الريح ، وثقل هذا الهبوب على الناس وتخوفهم منه، ويؤكد ذلك خواء المكان وجدبه في قول الشاعر :"والمكان جديب " وجديب على صيغة فعيل، وهي من صيغ المبالغة التي جاءت؛ لتؤكد انتشار الجدب في ربوع المكان ، وحاجة الناس إلى من يخفف عنهم عناء هذه الحياة، فيرفدهم من عطائه حتى لا يهلكوا؛ ولهذا كان الممدوح ربيع حياتهم .

ومما سبق ندرك أن أصوات الكلمة لها دخل كبير في دلالتها ، وأن بعض الأصوات يضيف إلى الكلمات إيحاءات تتناسب مع المقام التي وضعت فيه.

لقد دارت موضوعات هذا المبحث حول الأفكار التي عالجها الشاعر في قصائده وقد جاءت على النحو التالي : التحسر على ما فات من أيام الشباب ، ومدح عمرو بن مسعود ، ووصف الناقة ،ومدح سعيد بن العاص ، وقد بين التحليل الصوتي لهذه الأفكار أن المحاكاة الصوتية برزت في النص خلال الأصوات المكررة والمضعفة والموسومة بصفات تتناسب مع المعنى وتدل عليه، ومن خلال الحركات الطويلة ، ومن حروف المد واللين ، ومن جهر الحروف وهمسها وشدتها أو ضعفها وكل ما سبق أسهم في بناء القصيدة وقد أثبت التحليل الفني ذلك.

([1])المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي د/ رمضان عبد التواب ص ٤٦.

([2])نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد ص ٦٣.

([3])المختصر في اصوات اللغة د/ محمد حسن حسن جبل ص ١٠٩.

المبحث الثاني: أثر المحاكاة الصوتية في الصور والأخيلة:

إن الصورة هي الإطار الخارجي الذي يحمل تجربة الشاعر، وأفكاره، وعواطفه وشعوره، في شكل يجسد المعنويات، ويشخص الجمادات، ويوحي بما وراءه من خلال اللفظة المنتقاة القادرة على الإلمام بأطراف المشهد، والإفضاء بعواطف الشاعر، وأحاسيسه تجاه ما مر به من أحداث، ثم التأثير بكل ما سبق على وجدان المتلقي وهي " الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة في معناها الجزئي والكلي، فما التجربة الشعرية كلها إلا صورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صورة جزئية، تقوم من الصورة الكلية مقام الحوادث الجزئية، وإذن فالصورة جزء من التجربة، ويجب أن تتآذر مع الأجزاء الأخرى في نقل التجربة نقلا صادقا فنيا وواقعيا "[١] والعلاقة بين الصورة والتجربة علاقة فنية فهما وجهتان لعملة واحدة، ولا يستطيع أحد الفصل بينهما ، والصورة هي " الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خالص؛ ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب ، والإيقاع، والحقيقة، والمجاز، والترادف، والتضاد ، والمقابلة، والتجانس ، وغيرها من وسائل التعبير"[٢] وهذا المفهوم للصورة يعني أن المبدع يحشد كل طاقاته الفنية؛ لبناء صوره بداية من اللفظ المنتخب، ومرورا بإمكانات اللغة كل ذلك؛ لكي تعبر الصورة عما كان مستغلقا في سراديب نفسه ووجدانه، والصورة ليست قاصرة على التشبيه، والاستعارة، فقد تأتي الصورة عبر الكلمات الحقيقية التي تخلو من المجاز، ومع ذلك ترسم مشهدا كاملا حافلا بالتجربة الصادقة، والعاطفة التي تنداح عبر الكلمات، وقد أكد هذه الحقيقة أحد النقاد فقال :"إذا كان المفهوم القديم قد قصر الصورة على التشبيه، والاستعارة ،فإن المفهوم الجديد يوسع من إطارها، فلم تعد الصورة البلاغية هي وحدها المقصودة بالمصطلح بل قد تخلو الصورة –بالمعنى الحديث – من المجاز أصلا فتكون عبارات حقيقية الاستعمال، ومع ذلك فهي تشكل صورة دالة على خيال خصب"[٣] والصورة الأدبية هي" تلك الظلال والألوان التي تخلعها الصياغة على الأفكار والمشاعر، وهي الطريق الذي يسلكه الشاعر والأديب لعرض أفكاره، وأغراضه عرضا

([١])النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال ط نهضة مصر سنة ١٩٩٧م ص ٤١٧.

([٢])الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر د/ عبد القادر القط ط مكتبة الشباب ١٩٨٨م ص ٣٩١.

([٣])الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري د/ علي البطل ط دار الأندلس ص ٢٥.

أدبيا مؤثر، فيه طرافة ومتعة وإثارة"[١] ومما سبق ندرك أن للصورة دور بارز في نقل المشاعر والعواطف عبر ألفاظ منتقاة بعناية فائقة حاملة في طياتها صورا وأفكارا وموسيقى لترسم مشهدا شعريا، تسهم الكلمة بأصواتها في نقل المشاعر، والأحاسيس والأفكار، من نفس المبدع إلى نفس المتلقي، فتحدث أثرها في قلبه، والسطور القادمة ستبرز علاقة المحاكاة الصوتية بالصورة الفنية من خلال النماذج التي تصور ذلك . ومن الصور التي كان للمحاكاة الصوتية أثر في بنائها صورة كرم "شبث بن حوط" الواردة في قوله:[٢]

لمَّـا رأى أنَّ أريـــافَ الـقـُرَى مُنِعَتْ وحَـــارَدَ الكَـيْـ ُ إلا كَـيْـلَ محـلـــوبِ

سَـــــدَّ الفنَـــاءَ بمصبـاح مُجَـالِحـــة شَيـحانة خُلِـقتْ خَلْـقَ المصَـاعـيـبِ

من آمِـنِ المـالِ أبقـاها لـدَى شَـــبَث جَـ ّ ُ الكـمـــاةِ بـرأس أو بـــتلـــــبيبِ

وحثُّـــهُ الـــركضُ والســربالُ ســـابغـــةٌ إلى نـِداء بظـــهرِ الغـيبِ تثـويـــــبِ

في الأبيات السابقة يمدح الشاعر شبث بن قيس، بالكرم ،وقد رسم الشاعر عدة صور بين خلالها كرم هذا الممدوح، وحسن عطائه وقت اشتداد الحرب، فقد أجدبت الأرض، وغلت الأسعار، ولم يبق للكريم ما يجود به غير ذي الضرع، فجاد الممدوح بناقة مجالحة تستطيع أن تعيش في هذه البيئة القاحلة، وتصبر على أكل الشجر بشوكه، وتدر اللبن، وهكذا أنقذ الممدوح حياة الشاعر بهذه الناقة العظيمة، ولما أقلب النظر في الأبيات السابقة، أرى أن المحاكاة الصوتية لها دور بارز في بناء الصورة الشعرية، ويتجلى ذلك في تكرار الصوت المضعف في قول الشاعر :" لما – أن– رأى " فقد تكرر صوت الميم المضعف في "لما" وصوت النون المضعف في "أنّ" ،وهذا التكرار له دلالات في بناء الصورة فهو يدل على أن الممدوح تبصر في أحوال أهل القرى، فوجد أن الجدب لم يبق زرعا يتقوت به، وأن الشدة طالت أهل القرى؛ ولذا عبر بالكناية في قوله :" وحارد الكيل " أي منع الكيل، والكيل لم يمنع ،وإنما انعدم الزرع بانعدام الماء فكأنه منع، وتلك كناية عن انقطاع الزرع كحراد اللبن، وصوت الراء تكرر في البيت الأول أربع مرات، وهذا يتوافق مع دلالة الصورة التي أردها الشاعر فهو" يتميز بأنه صوت مكرر يضرب اللسان معه في اللثة ضربات متتالية"[٣] ، وهذه الضربات المتتالية تشي بالمعنى وترسم الصورة لهذا الفقير

([١])الصورة الأدبية في القرآن الكريم د/ صلاح الدين عبد التواب ط الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ط الأولى سنة ١٩٩٥م ص ٩ .

([٢])ديوان الحطيئة ص ٤٩.

([٣])دراسة الصوت اللغوي تأليف د/ أحمد مختار عمر ط عالم الكتب ص ٣٩٦

البائس الذي يعيش في صحراء جرداء، جفَّ ماؤها وهلك زرعها، ولم يبق من أسباب الحياة إلا ناقة يستعين بها على مصارعة الموت، وهنا مدَّ الممدوح يد العون له، وأهداه ناقة يستعين بلبنها على مصارعة الموت في تلك البيئة القاحلة، وكرر الشاعر هذه الكلمة "الكيل – كيل " مرة معرف بأل، وأخرى نكرة موصوفة بقوله "محلوب"، وصوت الكاف يحاكي حال الفقير المعدم الذي سدت في وجه سبل العيش حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت، ثم انكشفت الغمة، وانجلت فجأة بهذا الكرم الذي ناله الشاعر من الممدوح، فعند النطق بصوت الكاف "يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتين، ثم يتخذ مجراه في الحلق...فإذا وصل إلى أقصى الفم قرب اللهاة انحبس الهواء انحباسا كاملا؛ لاتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى ، فلا يسمح بمرو الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصالا مفاجئا انبعث الهواء إلى خارج الفم محدثا صوتا انفجاري وهو ما نسميه بالكاف "[١] ، ويأتي البيت الثاني ليكمل الصورة التي رسمها الشاعر للممدوح فيبدأ بكلمة "سدّ" وقد كرر صوت الدال عن طريق التضعيف ، والتضعيف يزيد المعنى قوة ؛لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، والكلمة مكونة من صوت السين بما له من صفير يوحي بالمعنى المراد ، فالصفير يملأ المكان ضجيجا، والناقة التي أهداها الممدوح للشاعر تسد أفق المكان، والدال صوت مجهور شديد انفجاري، ولعل النطق به يوحي أن حدثا غير معهود قد حلَّ بالمكان، وهو الناقة العظيمة التي أهداها الممدوح للشاعر ، وهذه الناقة سدت فناء بيت الشاعر؛ لعظمها، وهي من الأبل المصباح التي لا تبرح مكانها؛ لشدة خلقها، وعظم جسدها، وهي بذلك تعد من أفضل النوق، وكلمة "مصباح" جمعت بين عدة أصوت وهي الميم، والصاد، والباء، والألف، والحاء، ولعل وجود الصفير في صوت الصاد يوحي بالفرحة التي ظهرت على لسان الشاعر وهو يعدد صفات هذه الناقة، ومجيء الحاء وهو يشترك مع الصاد في صفة الهمس يوحي أن الشاعر يصرح بصفات الناقة في حذر وخوف من أن تلتفت أنظار الناس إليها، لهذا انتهت الكلمة بصوت الحاء، وقد دل على شدة فرح الشاعر بهذه الناقة بحة صوت الحاء التي أنهى بها كلمة مصباح، وقد أشار ابن جني إلى بحة الحاء فقال :" ولولا بحة الحاء لكانت عينا "[٢] ، وألف المد المسبوق بالفتحة، وهي نصف الألف في قول الشاعر :"مصباح" توحي بالبشر، والسرور، وارتياح النفس لهذه الهدية الثمينة التي جاءت؛ لتقي الشاعر من البوار والهلاك، وأصوات الكلمة عبرت عن الحالة النفسية التي كان عليها

([١])في الدرس الصوتي د/ عبد المنعم عبد الله حسن ص ١٤٠

([٢])سر صناعة الإعراب لابن جني تأليف د/ حسن هنداوي ج ١ ص ٢٤١

الشاعر وقت مشاهدته لهذه الناقة، والبيت السابق جمع بين الأصوات الغارية :" وهي في العربية الفصحى الجيم والشين والياء"[1] ، فالميم جاءت في كلمة مجالحة، والشين في كلمة شيحانة، والياء في كلمة المصاعيب " وكل كلمة من هذه الكلمات لها دور بارز في بناء الصورة التي رسمها الشاعر لناقته، والمعنى يتطلبها، فالمجالحة هي التي تدر على الجهد، والبرد، والشيحانة : الطويلة ، والمصاعيب : الفحول واحدها مصعب فأراد أنها مذكرة ،ومجيء كلمة :" المصاعيب" على وزن المفاعيل وكسرة العين تناسب صوت الياء، وهذه المدة تتناسب مع المعنى الموضوع له الكلمة فالكلمة بأصواتها تحاكي معنى الناقة الصلبة الشديدة الخلق التي تشبه الفحول في خلقها، وهذا كناية عن عظمتها وقوتها، ثم يستمر الشاعر في بيان صفات هذه الناقة فيقول:

كوماءَ دهماءَ لا يجذوا القرادُ بها ثقيلةُ الوطءِ لا رذْل ولا نيبِ

وصف الشاعر الناقة بقوله: كوماء أي طويلة السنام عظيمته، ودهماء من الدهمة وهو السواد، وهاتان الصفتان من أجمل الصفات التي وصف الشاعر بها ناقته والملاحظ على هاتين الصفتين أن الشاعر كرر ثلاثة أصوات لها دلالة موسيقية في الكلمتين، ولها دلالة إيحائية في معنى الكلمتين، فألف المد المسبوق بالفتحة في قوله دهماء، وإطالة الصوت حال نطق ألف المد، يوحي بطول سنامها . وكذلك كلمة دهماء يوحي إطالة النطق بالألف بشدة سوادها، وهي بذلك من أفضل أنواع النوق، وهذا يعني أن الممدوح بذل من ماله أفضل ما فيه، وأهداه للشاعر، ولهذا استحقت هذه الناقة كل هذه الصفات الحميدة التي خصها الشاعر بها ثم يقول : " ثقيلة الوطء"، وهذه الكلمة بأصواتها، تحكي معنى الثقل وتوحي به، فأي شيء يقع تحت قدمها تدقه دقا، ولا تبقي منه شيئا، وهذه الناقة من أفضل المال، ولا تباع، ولا تشترى؛ لعظمها، وفضلها، وفي ذلك يقول الشاعر:

منْ آمِنِ المالِ أبقاها لذَى شَبَث جَرَّ الكُمَاةِ برأس أو بِتَلْبيبِ

وقد كرر الشاعر صوت الميم والنون في البيت السابق أربع مرات، وهما من أصوات الزلاقة، ويتسم هذان الصوتان بكثرة ورودهما في الكلام و"قوة الوضوح السمعي "[2] ؛ ولهذا اختارهما الشاعر من بين الأصوات اللغوية؛ ليؤكد أن هذين الصوتين تفردا كما تفرد الممدوح في حفظه لكرائم أمواله فلا يسطو عليها أحد ولعل سر بقائها قوة الممدوح، وبأسه الشديد، وسطوته، ومغالبته لأعدائه، وفتكه بهم، وجذه لنواصيهم، ووجره للكماة من رؤوسهم، وقتلهم أو أسرهم، وكلمة جر بما

([1])في الدرس الصوتي ص ١٤١

([2])علم الأصوات كمال بشر ص ٣٦٦

فيها من صوت الراء المضعفة يحاكي الفعل الذي قام به الممدوح، فصفة التكرار المصاحبة لصوت الراء حال نطقه تناسب جر الكماة على يد الممدوح ،وهكذا جمع الشاعر للممدوح صفتين من أفضل الصفات التي كان يفخر بها العربي وهما الكرم، والشجاعة، خلال هذه الصورة الفنية التي تحتاج إلى رسام؛ ليضعها في لوحته بكل ما فيها من ظلال، وإيحاءات، ويختم الشاعر هذه المقطوعة بهذا البيت الرائع الذي يقول فيه :

وحثُّهُ الركضُ والسربالُ سابغةٌ إلى نِداء بظهرِ الغيبِ تثويبِ

وعنما نحلل هذا البيت تحليلا صوتيا نرى أن ظاهرة التضعيف بادية فيه قوله " حثه – الركض – السربال " والتضعيف يعني زيادة في المبنى يقابله زيادة في المعنى، واجتماع السين والراء، وهما من الأصوات اللثوية وذلك في قوله " السربال" وهذه الأصوات تتناسب مع حركة الراكض الذي يركض خلف من يستغيث به، فالركض حركة سريعة، وصوت الراء بنطقه يناسب هذه الحركة فاللسان يضرب في اللثة ضربات سريعة متكررة، وبذلك يتناسب الصوت مع المعنى، ولعل مجيء الهاء في قوله " فحثه" يناسب المعنى؛ لأنها جاءت في نهاية الكلمة بعد الثاء المضعفة، ومن صفات الهاء المهتوت : ومعناه المحصور المكسور، أو المقول بسرعة، وغزارة في الكلام"[١] ، وهو يناسب الممدوح فلا يكاد يسمع نداء الاستغاثة حتى يهب راكضا على فرسه؛ ليجيب نداء المستغيث، ويرد لهفته، وهذا يعني أن الممدوح مستعد لأداء ما يطلب منه في أي وقت كان، وقد عبر عن ذلك بتنكير "نداء"، وهذا التنكير يخدم الصورة التي رسمها الشاعر للممدوح فصاحب النداء غير معلوم بالنسبة للممدوح، ومع ذلك يهبّ لنجدته ويسرع إلى إغاثته.

وصورة خيال أم معبد ، من الصور التي تجذب ذهن الناقد؛ ليقف حيالها، ويجيل النظر فيها، ليخرج منها بروافد الإبداع الفني لدى هذا الشاعر المصور الذي يجيل نظره في دقائق اللوحة التي يقوم برسمها، والأبيات تنطق بقوة شاعرية هذا الفنان الذي يقول :[٢]

آثرتُ إدلاجي على ليلِ حُرَّةٍ هضِـيمِ الحـشى حُسَّانة المـــــتجردِ

إذا النومُ ألهاها عن الزادِ خِلتها بُعيدَ الكَـــرَى باتَتْ على طيِّ مُجسَّدِ

إذا ارتفقتْ فوقَ الفراشِ حسبتها تخــافُ انبتاتَ الخَصْرِ مالم تـــشدَّدِ

وتُضْحى غَضيضَ الطرفِ دوني كأنما تضمَّنَ عينيها قـــذى غيرُ مُفْسِدِ

والتحليل الصوتي يكشف لي أن الشاعر قال :" ليل حرة"، والحرة هي التي لا يقدر عليها زوجها ليلة

([١])في الدرس الصوتي ص ١٠٣

([٢])ديوان الحطيئة ص ٦٢.

يدخل بها فلا يفتضها، ومجيء صوت الراء المضعفة والذي من صفاته التكرار يناسب معني الكلمة، فالحرة تغالب زوجها ويغالبها، والمغالبة تحتاج إلى جهد لعله يقدر عليها، وكذلك نطق صوت الراء يحتاج إلى جهد عضلي إذ يضرب طرف اللسان في اللثة ضربات سريعة متكررة حال النطق، وتأتي الهاء في قوله :" هضيم الحشى" وهي تتسم بالضعف والخفاء ليناسب حال المحبوبة ، فكأنه يسر إلينا بقوله "هضيم الحشا"، وتأتي الحاء في قوله "الحشا" وهذا يدل على الانسجام الموسيقي بين صوتين متوافقين في المخرج حتى جاز لنا أن نقلب الهاء حاء، والحاء هاء، وكلمة هضيم علي فعيل ،ومدة الياء المسبوقة بالكسرة الموضوعة على الضاد، وإطالة النطق بهذه الأصوات يؤكد ما ذهب إليه الشاعر من ضمور بطنها ،وهذه من صفات الجمال التي توصف بها المرأة وأما قوله:" حسانة المتجرد " فقد ضعف الشاعر صوت السين؛ ليدل على شدة حسن هذه المرأة، وشدة جمالها، واختيار صوت السين بما له من صفة الصفير الناتج عن انحصار الصوت بين الشفتين، وهذا الصفير كأنه إعلان عن البهجة والسرور بهذا الجمال المتفرد الذي لا يظهر كاملا إلا لحظة تجردها من ملابسها، ووجود الصفير في هذه الكلمة مع وجود التكرار في قوله المتجرد، كل ذلك إعلان عن هذا الجمال الذي سبى قلبه وعقله، ومع وجود هذا الجمال إلا أن الشاعر آثر الرحلة إلى الممدوح، وترك هذه المرأة على الرغم من مفاتنها وحسن جمالها . ثم يقول الشاعر :

إذا النوم ألهاها عن الزاد خلتها بعيد الكرى باتت على طىّ مجسد

وكلمة " ألهاها" تكرر فيها صوت الهاء مرتين وهي تناسب المعنى الذي أراده الشاعر فالهاء "تخرج بانفراج الأوتار الصوتية انفراجا كبيراً أمام الهواء المندفع من الرئة لأدائها مع عدم تضايق أية نقطة في مجرى ذلك الهواء في الجهاز الصوتي حتى يخرج"[١] ، وقد وصفها الخليل بأنها "نفس لا اعتياص فيها" وبأنها خفية لا صوت لها " [٢]وهذا الضعف يناسب حال المحبوبة عندما يدركها النوم فتضعف قواها وتستسلم له، وكلمة "الزاد " فيها صوت الزاي المدغمة، والتي من صفاتها الصفير، والتي قال عنها سيبويه " حروف الصفير أندى في السمع "[٣] وصفير الزاي يوحي بالبهجة، ويعلن عن قدوم شيء تهواه النفس، وترتاح إليه، ومع كل ذلك غلبها النوم– كما زعم الشاعر– ليصل إلي ما بعد النوم، وهو الحديث عن رائحة فمها وطيبه، وإن لم تتطيب، وهذا يزيد المرأة جمالا على جمالها، ولذا بدأ الشطرة الثانية من البيت بهذا التصغير ، " بُعَيد "

([١])المختصر في أصوات اللغة العربية د/ محمد حسن جبل ص ٨٠

([٢])السابق ص ٨١.

([٣])الكتاب سيبويه ت عبد السلام هارون ط دار الجيل بيروت ص ٤٦٤.

على وزن فُعَيل، وأضاف إليها كلمة "الكرى " والمقصود بها النوم، واشتملت هذه الكلمة على صوت الكاف، وهو من الأصوات الشديدة، وهذه الشدة المصاحبة لنطق الكاف تناسب معنى الكلمة فانحباس الهواء انحباسا كاملا حال نطق الكاف، يناسب معنى الكلمة، فالنوم يغلب صاحبه، ويجرده من قواه الجسدية؛ ليحيله إلى سكون خافت، وكلمة النوم لها ما يأتي بعدها من تغير رائحة الفم، ولكن الشاعر يذكر أن هذه المحبوبة التي زاره خيالها، لها من الصفات ما يجعلها فريدة بين أقرانها، فبعد النوم تجد لها رائحة طيبة كأنها باتت فوق زعفران، وهذه الصفات تجعل الشاعر يفضل الجلوس مع هذه المرأة ،ولا يتركها ولا يرحل، ولكنه على الرغم من هذه الصفات التي تسبي العقل والقلب رحل عن هذه المرأة، واختار جوار الممدوح عن جوارها، وهذا الحديث من الشاعر إلي الممدوح يعد رسالة مفادها أن الشاعر اختار جوار الممدوح على جوار هذه المرأة، وهذا يتطلب من الممدوح أن يجزل له المثوبة والعطاء وأن يحسن جواره .

والشاعر مازال يتحدث عن صفات محبوبته الحسنة ولذا يقول :"

إذا ارتفقت فوق الفـراش حسـبتها تخاف انبتات الخصر ما لم تشدد

إن العرب يحبون في المرأة دقة خصرها، وعظم عجيزتها، وكثيرا ما يصفون المرأة بهاتين الصفتين، والحطيئة واحد منهم يهوى ما يهوون؛ ولذلك نجده يكرر صوت الشين، والسين، والراء، والصاد، والدال، في كلمات البيت السابق، وهذه الأصوات بما لها من صفة التفشي والصفير والتكرار، توحي بالهالة التي وضعها الشاعر حول هذه المرأة للدلالة على تفردها في الحسن، وتميزها عن سائر بنات جنسها بهذه الصفات الحسية، دقة الخصر، وعظم العجيزة، وكلمة " انبتات " بما لها من حضور في النص تشي بالمعني المراد منها فالانبتات يعني انقطاع الخصر، وذلك من خلال بنية الكلمة مع تكرار صوت التاء ثلاث مرات، وهو من الأصوات الانفجارية، ولذا يتناسب مع الحدث، وهو الانقطاع فعندما " يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة ويحبس الهواء انحباسا تاما عند هذه النقطة ثم ينفصل اللسان فجأة عن نقطة الالتقاط فيحدث صوت انفجاري هو التاء "[1] وصوت الألف في قوله " الفراش، تخاف، انبتات، ما " يستغرق النطق به زمنا وهذا يتناسب مع الحالة النفسية التي كان عليها الشاعر، وهو يتحدث عن خيال هذه المحبوبة فإطالة النطق بصوت الألف يعني استمتاعه بالحديث عن هذه المرأة التي جذبت كيانه، وسيطرت علي قلبه، وعقله، فأصبح لا يرى إلا صورتها.

وتضحي غضيضَ الطرفِ دوني كأنما تَضَمَّنَ عـينيها قـذى غـيرُ مُفْـسِدِ

بدأ الشاعر هذا البيت بكلمة : " تضحى " وهي تعني أنها برزت للشاعر وقت الضحى فجأة ،ولذا

([1])الدرس الصوتي ص١٦٣

غضت طرفها حياء حتى ظن من رآها أن بها قذى في عينيها وهذا غير صحيح فغض طرفها ليس سببه مرض بالعين، وإنما سببه شدة حياء هذه المرأة ،وعندما نحلل هذا البيت تحليلا صوتيا نلحظ أن المحاكاة الصوتية وردت في تكرار صوت الضاد في قوله "تضحى " و"غضيض " و"تضمن " فقد تكرر هذا الصوت أربع مرات، وهذا الصوت من الأصوات المجهورة، ويتسم بالشدة والتفخيم، ولعل جهر هذا الصوت يتناسب مع صورة المحبوبة التي خرجت من بيتها في الضحى فلما رآها الشاعر بوهت من هذا الجمال الذي لم يستطع النظر إليه؛ لشدة نورها، ولكنها حجبت عنه بعضا من هذا الجمال عندما غضت طرفها، ولم تنظر إليه حياء، فاشتعلت نيران قلب الشاعر لمشاهدته الجمال الحسي والمعنوي في آن واحد، وتفصل الياء الساكنة بين الضادين في قوله : " غضيض " ولعل "إطالة الصوت حال مدة الياء الساكنة المقصور ما قبلها يتيح للشاعر الفرصة في إطالة النظر إلى هذه المحبوبة، وتكرر صوت الياء في هذا البيت ست مرات في قوله " وتضحي – غضيض –دوني – عينيها – غير "ولعل هذه الإطالة تتيح للشاعر أن يتفحص جمال هذه المرأة ثم يقول:

إذا شِـــئْتُ ألقـــيتُ ســـاعـــدي علـــى كَفـَـل رَيـَّـانَ لـــم يتـــــخدَّدِ

لقد جمع الشاعر في هذا البيت بين هذه الأصوات الياء، والشين، والسين، والراء، والدال، وقد تكرر صوت الدال في هذا البيت ثلاث مرات في قوله:" ساعدي، ويتمدد، ويبدو أن لهذا التكرار فائدة عظيمة، فهو من الأصوات المجهورة الشديدة، وهو يناسب المعنى ويحاكيه، فهو يتناسب مع شدة هذا الساعد الذي يضعه الشاعر على عجيزة هذه المرأة التي يصفها، وكلمة لم يتمدد التي تكرر فيها صوت الدال ثلاث مرات ليناسب المعنى الذي وضعت له الكلمة، وهو أن تصاب بالهزال والنقص، وهذا يدل علي جمال هذه المرأة، وأنها مازالت فتية يصبو إليها حبيبها كلما شاهد حسنها، والشاعر مغرم بصفاتها الحسية؛ ولذا يتحدث عن رائحة الطيب التي تنتشر في مكان نومها فيقول:"

لـها طِـيبُ ربّى إنْ تـأتني وإنْ دنـــتْ دنـــتْ عـبـلة فـــوقَ الفـراشِ الممـــهَّدِ

أثبت الشاعر لمحبوبته عدة صفات حسية وهي: طيب رائحتها إذا قدمت عليه وعندما تدنو منه، وعظم جسدها عندما تتمدد على الفراش، وقد أثبت لها هذه الصفات خلال أصوات اللغة التي حملت هذه المعاني في قوله " طيب " فصوت الطاء المكسورة وإطالة النطق به، ومجيء الياء المناسبة للكسرة التي سبقتها، يؤيد انتشار رائحة الطيب في المكان الذي تحل هذه المرأة فيه، فحركت الكسرة مع الياء أدى إلي استعذاب الشاعر لهذه الكلمة التي أتبعها بكلمة " ربي " والتي جمع فيها بين الراء، والألف، الراء التي جاءت في أول الكلمة، وهي تتسم بصفة التكرار والألف

التي جاءت في نهاية الكلمة مع فتح ما قبلها، يدلك أن هذه الكلمة من الكلمات المحببة إلى نفس الشاعر، ولذا وافقت هوى في نفسه، فتكرار الراء يؤدي إلي إطالة النطق بها، ومدة الألف تؤدي إلي إطالة النطق بالألف، وهذا كله يؤكد ما ذهبت إليه من أن الشاعر يستعذب هذه الكلمة، ويطيل النطق بها ؛لأنها تعبر عن صفة من صفات الحسن في محبوبته؛ ولذلك قال :" لها طيب ربى " وفي هذه الجملة نلحظ أن الشاعر قصر الطيب علي هذه المرأة دون غيرها، وذلك بتقديمه الخبر علي المبتدأ وقيد ظهور هذا الطيب بإن الشرطية في قوله :" إن تأتيني "، ثم كرر الشاعر كلمة " دنت " ،ويقصد بالدنو القرب منه، ولعل تكرار هذه الكلمة للدلالة علي شدة حظوته لديها ، ويصور دنوها بقوله " عبلة " أي ضخمة الجسد، وهذه صفة من الصفات المحببة إلي قلب الشاعر، وكلمة " الممهد " جمع فيها الشاعر بين صوتي الميم والهاء، وأتبعهما بالدال المكسورة، وكسرتها أدى إلي مجيء الياء ، وهما من الأصوات الشديدة المجهورة ،ولعل هذه الشدة تتناسب مع معني الكلمة؛ لأن الفراش الممهد يحتاج إلي جهد ومشقة حتى يكون ممهدا. ثم يقول الشاعر:

خَميصةُ ما تحتَ النطاقِ كـأنها عسـيب نَمَـا في ناضر لم يخضَّدِ

بدأ الشاعر البيت بقوله " خميصة " وجمع فيها بين صوتي الياء الممدودة، والصاد، والياء الممدودة يطيل فيها النطق؛ لوجود الكسرة، وهي نصف الياء، ثم الياء، وهذه الإطالة في النطق تدل على حب الشاعر لوجود هذه الصفة في هذه المرأة؛ ولذا يترنم بالكلمة، ويطيل النطق بها، ويسعفه في ذلك صفير الصاد بما له من أزيز تطرب النفس عند ترديده، " ومع الصاد يخرج النفس بلا زمير، ويستعلي أقصى اللسان، ويتقعر وسطه، ويرتفع مقدمه أيضا فيتكون فراغ يكون الحنك الأعلى كالطبق له يغلظ الصفير، ويفخمه، فهي مهموسة رخوة مطبقة مستعلية مصمتة "[1] وقوله " النطاق " جاء صوت النون المدغمة وهو من الأصوات المجهورة ويتبعه صوت الطاء، وهو مجهور مثله، وصوت القاف من الأصوات المجهورة عند أغلب العلماء، واجتماع هذه الأصوات المجهورة في هذه الكلمة يعني أن هذا أمر ظاهر، وواضح ولا يحتاج إلى دليل على صحته، وأنها ضامرة البطن، ومن يشاهد نطاقها يشهد بذلك الأمر وبصحته، وأن هذا الجمال واضح وضوح الشمس في كبد السماء، وهذا مما رغب الشاعر في هذه المرأة، وجعله يتعلق بها، ثم يكمل الصورة باستخدام أداة التشبيه كأن في قوله :" عسيب نما "، والإتيان بكأن للدلالة علي قرب المشبه من المشبه به كما –قال علماء البلاغة – يتضح ذلك من صورة العسيب الذي نما في مكان ناعم، وارتفع هذا العسيب، ولم يكثر غصنه وهذا أدعى إلى تعلق العيون به، ومداومة

(١)المختصر في أصوات اللغة العربية د / محمد حسن جبل ص ١٢٥

النظر إليه بين الحين والاخر، وكلمة " عسيب " علي وزن فعيل، وقد جمعت هذه الكلمة بين عدة أصوات وهي العين، والسين، والياء، والباء ،والسين لها صفير يزداد بالكسرة التي تحت السين، وإطالة النطق بصوت السين مع شدة الصفير المصاحب لها يعطي للكلمة جرسا موسيقيا، ورنينا يجذب الأذن لسماعه، وترديده، والكسرة التي تسبق الياء مع الياء، تزيد الكلمة بهاء وحسنا ينتهي بانطباق الشفتين انطباقا محكما حال نطق الباء التي تنتهي الكلمة بها . وقوله :" لم يخضد " يعني لم يذهب ما عليه من الخوص، وبذلك يكون الشاعر وصف هذه المرأة بوصفين هما طول القامة وعظم العجيزة ،وهذه الصفات يحبها الشاعر في المرأة ،وأثبت الشاعر لهذا العسيب النضرة، واللين، والحسن بقوله :" نما في ناضر " فطيب المكان ، وحسن طينته، ووفرة الماء الذي ينبت فيه هذا العسيب مما يزيد الصورة حيوية، وجمالا فتعشقه الأذن قبل العين بمجرد سماعه فكيف بمعاينته ورؤيته، وهذه المرأة نبتت في مكان طيب، وغذيت غذاء حسنا فازدان جمالها، وحسن طيبها، واجتمعت فيها آيات الحسن الحسي والمعنوي، وقد عدد الشاعر صفاتها بألفاظ منتقاة من عبق اللغة العربية فصورت هذه المرأة خير تصوير، والتحمت أصوات اللغة مع عاطفة الشاعر لإبراز صورة هذه المرأة. ويكتب الشاعر قصيدة يمدح آل سيان بن عمرا، ويرسم لهم صورة أدبية تبرز فضلهم، وتصور مجدهم وعزهم ،وتحملهم الديات، وحقنهم للدماء وسعيهم بالمعروف بين القبائل، وفي ذلك يقول:

لها أُسٌّ دار بالعُـريْمةِ أنهـجتْ معـارِفُها بعـدي كما يُنهِـجُ البُرْدُ
خلـتْ بعد مَغْنى أهلِها وتأبدتْ كأنْ لم يكُن للحـاضرينَ بها عـهدُ
كأن لم تُدمِّنها الحلولُ وفيـهِمُ كُهـُولُ وشبـانُ غطـارِفةٌ مُـرْدُ
هُمُ آلُ سيَّار بن عمرو بن جابر رجالٌ وفَـتْ أحـلامُهُمْ ولـهمْ جَدُّ[1]

بدأ الشاعر البيت الأول بأسلوب القصر في قوله " لها أس دار " ،وهذا يعني خصوصية هذه الدار، وهذا المكان لآل المحبوبة التي يهواها الشاعر؛ ولذا عمَّ عنا أمرها، وتحدث عنها بضمير الغائب مع أنها حاضرة في قلبه، وله معها ذكريات تأنس القلب، ولكن الشاعر يغمض أثناء الحديث عنها؛ ليجذب انتباه المستمع؛ ليتابعه في شغف، حتي يتعرف على أسرار هذه العلاقة التي كانت بين الشاعر ومحبوبته، وقوله " لها أس دار " جاءت السين في كلمة "أس " مضعفة حتى نسمع لصوتها صفيرا يجذب أذن المستمع فيصغي لمعرفة هذه الدار، ولكن القارئ في نهاية الشطرة الأولى يصدم بقول الشاعر " أنهجت " أي بليت ودرست وقد جمعت هذه الكلمة بين خمسة أصوات منها ثلاثة مجهورة، واثنتان مهموستان وبدأت بصوت مجهور، وانتهت بصوت

([1])ديوان الحطيئة ص ٧٥

مهموس، ولعل ذلك يحاكي ما كانت عليه هذه الدار في مرحلتين الأولى عندما كانت عامرة بأهلها، والأخرى عندما حلَّ بها البلى، وخلت من أهلها، وقوله :" معارفها " أي معالمها جاء صوت الألف وسط هذه الكلمة مع فتح ما قبل الألف وإطالة النطق بهذا الصوت في وسط الكلمة ونهايتها، يوحي بالتحسر والندم علي هذه الدار التي كادت معالمها أن تختفي، ولا يكاد يبصرها الشاعر إلا بعد لأي وجهد ، وهذا يوحي للشاعر بفيض من الذكريات التي تموج داخل نفسه، وتظهر أمام مخيلته الآن فيزداد أسفا على المروج الخضر، التي كانت تحيط بهذه الديار، وعلى أهلها الذين لهم في قلبه مكانة عظيمة، ثم يستطرد الشاعر في الوصف قائلا:

كأن لم تدمنها الحلول وفيهم كهول وشبان غطارفة مرد

قوله "تدمنها" جاء صوت الميم مضعفا، وهذا يعد زيادة في المبنى يؤدي إلى زيادة في المعنى، فالتدمين من الدمن وهو آثار الناس وأبعار إبلهم ، وهذا يعني أنهم عاشوا في هذا المكان أزمنة عديدة ، وصارت لهم فيه ذكريات كثيرة ، وهذا يدل على حب العربي لموطنه وتعلقه به ، والشاعر يرسم صورة للمكان ولساكنيه هذه الصورة تربط بين الإنسان والمكان ، وتجسد العلاقة القوية بينهما، ثم يقول: لقد اجتمع في هذا المكان" كهول " وهي على وزن فعول، ويقصد بالكهول "رجال لهم عقول راجحة" ، تزن الأمور بميزانها الصحيح ، وأصبح الناس يعتمدون عليهم في كل شيء ، وقوله " وشبان" جمع في هذه الكلمة بين صوت الشين وهو يتسم بصفة التفشي، وهو الانتشار، ولعله يقصد بذلك كثرة شبان هذه القبيلة ، وجاء صوت الألف بعد فتحة الباء؛ ليعطي للقارئ الفرصة في إطالة النطق بهذه الكلمة، وهذا يدل على افتخار هذه القبيلة بكثرة شبابها وكهولها ، وأنها حازت المجد بهؤلاء وهؤلاء ، وقوله:" غضارفة" جمع غضريف، وهو الشاب الثري السخي الشريف ، وقد بدأت هذه الكلمة بصوتين مجهورين، وهما الغين والطاء، والجهر قوة ، والشباب يتسم بالقوة، وقد ناسبت أصوات الكلمة معناها وشاكلتها ، والحركات فوق هذين الحرفين مجهورة، وهذا يدلنا على أن اللفظة وافقت المعنى ، وكونها مجهورة يعني:" تذبذب الوتران الصوتيان أثناء النطق بها ، وهي منطلقة لا يعوق الهواء بها عائق، ولذا وصف الخليل حروف المد بأنها هوائية أي اتسع مخرجها لهواء الصوت "[1] ، ثم يقول الشاعر :

هـم آل سـيار بن عمرو بن جـابر رجـال وفـت أحلامهم ولـهم جـد

فقوله:" هم" هذه الكلمة جمعت بين صوت الميم والهاء، وجاءت الميم مضمومة والضمة نصف

([1])في الدرس الصوتي ص ١٧٣

الواو ، ومجيء هذه الضمات الثلاثة في" هم " مع الثقل الملازم لنطق الضمة " لارتفاع أقصى اللسان مع الضمة"[1] ؛ ليوحي بذلك أن هؤلاء الناس مختلفون عن غيرهم، فقد حازوا قصب السبق في كل مكرمة يعنوا إليها سائر البشر؛ ولذلك عبر عنهم بضمير الغائب "هم "ثم قال " آل" وهمزة المد تحتاج إلى إطالة النطق بها، وهذا الإطالة تشد انتباه المستمع ؛ لينصت إلى ما يتلى عليه من كلام، وبدأت الشطرة الثانية بقوله "رجال" وهي جمع تكسير جاء نكرة ، والتنكير له دلالات فهم من المعرفة بمكان بحيث إذا قيل رجال انصرف الذهن إليهم دون غيرهم، فاستوى التعريف والتنكير عند ذكرهم وقوله:" وفت أحلامهم" يعنى كملت عقولهم فشهروا برجاحة العقل، وكلمة أحلامهم جمعت بين ثلاثة أصوات من أصوات الحلق وهي الهمزة، والهاء، والحاء، والهمزة مجهورة والهاء والحاء مهموستان، وجهر الهمزة يتناسب مع معنى الكلمة، ثم وصفهم بقوله "لهم جد" وقدم الخبر وهو شبه جملة "لهم " على المبتدأ وهو "جد" والجد هو الحظ وهذا يعنى أن الله قد خصهم بحظ وافر في كل أمر من أمور حياتهم، ثم يكمل الصورة بقوله :

إذا نـــازع الأقـــوام يـــوما قنـاتهم أبى لـــهم المعـروف والحســـب العـــدُّ

وظف الشاعر في هذا البيت صوت اللين، وهو الألف المفتوح ما قبلها في قوله:" إذا، نازع ، قناتهم " أبى " للدلالة على الفخر بهؤلاء القوم في ساحات الحروب ؛ لأن زمن النطق بالألف المفتوح ما قبلها يستغرق وقتا طويلا ، وذلك يتفق مع معنى المباهاة، والمفاخرة بالأحساب، والأنساب الواردة في هذا البيت ، كما أن كلمة (نازع) تعني المخاصمة، والمجاذبة بين هؤلاء القوم ، ومن ينافسهم في السؤدد والشرف ، ولعل صفير الزاي يساهم في إحداث الجلبة والصياح ، ويحاكي حال المتنافرين، وألحظ أن الشاعر كرر صوت الميم في هذا البيت ثلاث مرات في قوله:" الأقوام – يوم – قناتهم– لهم" ولعل مجيء الميم في أواخر هذه الكلمات يدل على التشديد والتوكيد والقطع ، وأن مغالبة آل صيار بن عمرو لغيرهم من القبائل أمر مقطوع به ولا يقبل الشك ؛ ولهذا جاء صوت الميم في آخر هذه الكلمات للدلالة على ذلك، ثم يكمل الصورة فيقول:

فمن كان يرجو أن يساوي سعيه لمسعاتهم قـــدّ الأديم كمـــا قـدوا

من ينظر في البيت السابق يلحظ أن صوت السين تكرر في ثلاث كلمات وهي:" يساوي– سعيه – لمسعاتهم" والسين يتسم بصفة الصفير ، وهذا يعني حدوث ضجة عظيمة، وصياح كثير من أناس كُثُر أرادوا أن ينافسوا آل صيار بن عمرو في مجدهم وشرفهم ، وأن يلحقوا بهم ، ولم يستطيعوا ذلك ،ولهذا سُمِع لهم جلبة وصياح، ولم يسمع لهم أثر يدل على فعالهم؛ ولذلك دعاهم

([1])المختصر في أصوات اللغة العربية ص ١٤٨

الشاعر إلى قد الأديم وكلمة "قدَّ" مضعفة العين واللام ، وصوت الدال المضعفة " صوت مجهور شديد انفجاري مصمت "[١] ، وهذا يتناسب مع معني الكلمة وهي القطع ، والأديم هو الجلد، وهو هنا كناية على اكتساب الشرف والسؤدد، ولعل التعبير عنه بهذه الكناية للدلالة على أن هذا الأمر عظيم، ولا يصل إليه كل من طلبه ، وإنما تذهب النفوس، وكرائم الأموال في سبيل الوصول إليه، وهذا ما دعا الشاعر أن يقول:"

أبوهـــم ودى عقلَ الملوكِ تكلفا ومـــــــا لـــهُمُ ممـــــــا تكـــلفه بُدُّ

في هذا البيت كرر الشاعر صوت اللام ثماني مرات ، واللام كما يقول علماء النحو تفيد الملكية ، وهذا يعني أن أبوهم ملك أعناق الملوك، وقتل منهم من شاء ودفع الدية وقبلوها ؛لأنهم لا يقدرون على منازلته في ساحات الوغى ، وقد تكرر صوت الميم ثماني مرات في هذا البيت ، وصوتا اللام والميم من الأصوات التي تتسم بالوضوح السمعي، وفي ذلك يقول أحد علماء اللغة:" ولعل هذه الظاهرة –يقصد قوة الوضوح السمعي – نفسها هي التي دعت بعض الباحثين إلى نظمها في سلك ما سموه بالأصوات الرنانة أو الرنينات وهي اللام والميم والنون والراء "[٢] وهذه الصفة تتناسب مع تكرار هذين الصوتين فهما وردا في مجال الفخر.

تكلـفَ أثـمانَ المـــلوكِ فســـاقها ومـــا غَـــضَّ عـنه من سؤال ولا زندُ

وكلمة "تكلف " من الكلمات المضعفة العين التي وردت على وزن "تفعل" وهذا يعني أنه طلب ما لا يلزمه ، والتكلف تعمل وتصنع وزيادة عن المطلوب ، وهذه الصيغة ناسبت المعنى ، والأمر المتكلف هو قتل الملوك ودفع دياتهم ، وكلمة أثمان جاءت على وزن أفعال ، وهذا يعني أن معه من المال ما يتحمل به ديات الملوك ، وكلمة "فساقها " جاءت بمثابة الإعلان عن ذلهم وفضحهم بين الناس.

وكلمة "غض" من اللفيف المقرون فقد جاءت لامه وعينه من جنس واحد ، وهو صوت الضاد، وهو صوت مجهور شديد مفخم، وهو يتناسب مع المعنى الذي قصده الشاعر، وهذا يعني أنهم نجوم زاهرة في سماء الجزيرة العربية يقتدي الناس بأفعالهم وأقوالهم. ثم يقول الشاعر:

حمـــالةَ مـــا جـــرَّتْ فتـــاكَةُ ظـــالم حـــمـــالَةُ مـــلـــــك لـــم يكن مـــثلُها بـــعدُ

كرر الشاعر كلمة "حمالة" في صدر الشطرة الأولى، والثانية، ولعل هذا التكرار له مدلول فهو يشير إلى أن آل صيار تحملوا ديات لم يكن لهم فيها سبب ؛ وإنما جرها عليهم بعد السفهاء ، وهم قاموا بدفعها حتى يحقنوا الدماء، وينهوا الخصومات، وهذا يدل على كرمهم وشدة معروفهم ،

([١])في الدرس الصوتي ص ١٦١

([٢])علم الأصوات د/ كمال بشر ص ٣٥٧.

وتفردهم بين العرب بهذه الخلال الحميدة، أما قوله:" جرَّتْ" فقد جاء صوت الراء مضعفا؛ ليدل على المعنى المراد، ويكمل جوانب الصورة، ويؤكد أن هذه الجنايات كثرت، وأنها غرم جر عليهم دون جريرة منهم، وقوله:" فتاكة" على وزن فعالة، ومجيء صوت التاء مشددا يدل على شدة هذا الفاتك، وكثرة جرائره، وصوت التاء صوت مجهور شديد انفجاري، وهذه الشدة مع الجهر تناسب الحدث وهو الفتك ، وقد أجمل الشاعر الحديث عن هذه الديات، ثم فصل الحديث عنها في قوله :

هُمُ حمـلُوا الألفَ التي جـرَّ جـارِمُ وردُّوا جيـادَ الخـيلِ ضـاحـيةً تعـدوُ

وصوت الجيم في هذا البيت له الصدارة، فقد ورد في الكلمات الآتية:" جرَّ – جارم –جياد"، وصوت الجيم صوت مجهور انفجاري، وهو بذلك يناسب الحدث الذي جاء من أجله، فالجر، والجارم، والجياد، تدل على الحركة السريعة ، وصوت الراء في جر يصور الجريمة شيئا محسوسا يجره الجاني أمام أعين الناس. ثم يقول الشاعر:

أولئكَ قـومُ إنْ بَنَوا أحـسنوا البُنَى وإن عـــاهَدوا أوفَـوا وإن عقدوا شدُّوا

هذا البيت بني كما يقول علماء البلاغة على حسن التقسيم ، وهذا التوازي الموسيقي الذي يجذب الأذن للترنم به ، وترديده ، وحسن الإصغاء إليه ، فقد عبر عنهم باسم الإشارة أولئك، ونكر كلمة قوم للدلالة على أن التعريف والتنكير بالنسبة لهم سواء ، والتناسب بين الأصوات جاء في قوله :" إن بنوا أحسنوا البنى " فقد كرر هذه الأصوات، الهمزة، وصوت الباء، وصوت النون، وصوت الألف ، وهذا التكرار مع الفصل بأصوات أخرى أعطى للكلام موسيقى داخلية، جذبت القلوب والأسماع ، وفي الشطرة الثانية من البيت جاء حسن التقسيم خلال تكرار بعض الأصوات مع الفصل بينها مما يعطي الكلام حسا موسيقيا وجرسا عاليا تلذ له النفس في قوله :" وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا " فقد كرر الهمزة، والنون، والعين، والدال، والواو ، وأثبت لهم عدة صفات حميدة يحرص كل عربي على التحلي بها ، وإن عري منها فهو يرغب في الانتساب إليها، فهم إذا بنوا أحسنوا البناء، وإذا عاهدوا وفوا بعهدهم ، وإن عقدوا أمرا أحكموه، ولم يخرجوا عنه، وهذا يدل على فضلهم، وشرفهم وقوة أمرهم. ويستكمل الشاعر الصورة بقوله:

وإن كانت النـــعماءُ فيهم جـَزَوا بها وإن أنعـموا لا كـدَّروها ولا كـدروا

كرر الشاعر في هذا البيت عدة كلمات وهي " إن – والنعماء – وأنعم – وكدروها "، وهذا التكرار يدل على حرص الشاعر على انتقاء ألفاظه ، وكياسته في توفير الموسيقى الناجمة عن انسجام الأصوات المكررة مع وضعها في مكانها اللائق بها ، وهو

يصفهم بالحكمة في كل أمر من أمور حياتهم ، فعندما تكون النعمة في أيديهم لا يبخلون بها ، ولا يكدرونها بالتسويف والمطل ، ولا بالإلحاح ، ، والشاعر متأثر بالبيئة العربية التي كانت ترى أن النعمة تكدر بالمطل، وحروف الزلاقة لها الصدارة في هذا البيت، فقد جاءت النون ست مرات في قوله : إن – كانت –النعماء – وإن أنعموا ، وتكررت الميم ثلاث مرات في قوله : النعماء – منهم –أنعموا ، " ومعني الذلاقة الخفة في النطق " [١] ؛ " ولأنه يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدر طرفه"[٢] وسلاسة هذه الحروف وخفتها ، ووجودها في تسع كلمات من هذا البيت أكسب الكلام طلاوة وحلاوة وانسجاما يتناسب مع ما هم فيه من كرم وعطاء ونبل أخلاق وحسن معاملة لغيرهم ، وألحظ أن الهمزة قد تكررت في هذا البيت أربع مرات في كلمات مختلفة ؛ ولذا حسن موقعها في تلك الكلمات ، ولذلك يقول ابن جني :" واعلم أن هذه الحروف كلما تباعدت في التأليف كانت أحسن ، وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما ، ولا سيما حروف الحلق "[٣] ويستكمل الشاعر صورة هؤلاء القوم فيقول:

وإن قال مولاهم على جُلِ حادث من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا

وهؤلاء القوم الذين مدحهم الحطيئة إذا أصابهم حادث عظيم ، أو تعرضوا لأمر جلل دعاهم سيدهم للتشاور فيه لم يقصروا ، ولم يتوانوا في دعوته ، واهتدوا بعقولهم إلى مناط الصواب في هذا الأمر، وكلمة "جلَّ" مشددة اللام والجل هو الأمر العظيم ، ولعل جهر اللام وزلاقتها وانحرافها يدلنا على مناسبة هذه الكلمة لهذا المعنى فقوة الصوت مع سهولة نطقه يوحي بالمعنى الذي وضعت له وهو الشدة التي تعرض لها هؤلاء القوم ؛ ولذا جاءت كلمة "حادث" نكرة ، والتنكير يفيد عظم هذا الحادث، وشدته، ونفرة الناس منه، وتصدي هؤلاء القوم له دون غيرهم، ووجود صوت الحاء مع الألف في كلمة حادث يحاكي هول هذا الحادث وقوته فالحاء تخرج من الحلق، وهو صوت مهموس أي ضعيف، والضعف والبحة في هذا الصوت يحاكيان هول هذا الحادث وشدته، وكرر الشاعر كلمة " ردوا " التي جاءت مرة بصيغة الأمر، ومرة بصيغة الماضي ، ولعل الجمع بين صيغة الأمر والماضي يدل على سرعة استجابتهم لسيدهم، وحسن طاعتهم له، وامتثالهم لأوامره ثم ينهي الشاعر قصيدته بهذا البيت :

أولئك قـــــوم لـــن يســـد مكانـــهم شـــريك إذا عـــدَّ المســـاعـــــي ولا ورد

([١])في الدرس الصوتي ص٩٤

([٢])سر صناعة الإعراب لابن جني ص ٦٤.

([٣])السابق ص٦٥

عبر الشاعر باسم الإشارة "أولئك" التي تشير إلى البعيد مع أنه يتحدث عن آل صيار وهم بجواره، وهذا يدل على تعظيمه مكانتهم ، وعلو شأنهم وهم مع قربه منه بعيدون عنه في المكانة والمنزلة ، ونكر كلمة " قوم" ؛ ليدل بهذا التنكير على تعظيم شأنهم، ثم عبر بلن التي تفيد تأبيد النفي؛ ليدل أنهم بلغوا مكانة عظيمة ، ولا يستطيع غيرهم أن ينالها ، وكلمة "يسد" جمعت بين صوت السين وصوت الدال المضعفة، وصفير السين يوحي أن هذا الأمر علمه العرب جميعا، وشاع فيهم أن هؤلاء القوم لا يصلح غيرهم أن يحل محلهم في الأمور العظام، وجاء صوت الدال مضعفا في آخر كلمة "يسد"، وهو صوت مجهور شديد انفجاري؛ ليتناسب بشدته مع معنى كلمة" يسد" ، وجاءت كلمة "عدَّ" مشددة الدال؛ لتدل على أن عد هذا الأمر فيه مشقة وعنت لمن يقوم به، وهذا يدل على أن آل صيار حازوا قصب السبق في كل أمر من أمور حياتهم، وأنهم سطروا بأفعالهم أثنى آيات المجد، فحق للشاعر أن يفخر بمجدهم .

ومما سبق ندرك أن المحاكاة الصوتية لها دخل في بناء الصورة الشعرية، وأن أصوات الكلمة تسهم في بناء دلالتها، وقد وضح ذلك خلال الصور التي تعرضت لتحليلها ،فالصوت يكسب الكلمة إيحاءات جديدة، ويصور عاطفة الشاعر ويساعد في بناء التجربة الشعرية بناء محكما.

المبحث الثالث المحاكاة الصوتية وأثرها في بناء الموسيقى الداخلية:

إن الموسيقى هي الأداة التي تميز الشعر عن غيره من فنون القول ، وحتى النثر لا يستغني عن الموسيقى الداخلية المتمثلة في ألفاظه ذات الإيحاءات التي تتناغم خلال جرس الكلمات ، وإيقاع الحروف، وترتيبها ترتيبا منسقا " وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت بما يخرجه فيه مدا أو غنة أو لينا أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها، ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع ؛ أو الإطناب ، والبسط بمقدار ما يكسبه من الحدوة والارتفاع والاهتزاز، وبعد المدى ونحوها مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى "[١] ، والإيقاع يقصد به :" تنظيم لأصوات اللغة بحيث تتوالى في نمط زمني محدد ، ولا شك أن هذا التنظيم يشمل في إطاره خصائص هذه الأصوات كافة ، وإن كان الشعر في كل لغة يبرز واحدة من هذه الخصائص يكون تنظمها هو أساس إيقاعه "[٢] ، والإيقاع ليس قاصرا على البحور الشعرية ؛ لأنها جزء منه بل يتحقق " بالإيقاع الخاص لكل كلمة أي كل وحدة لغوية لا تفعيلة عروضية للبيت ، وثانيا بالجرس الخاص لكل حروف من الحروف الهجائية المستعملة في البيت كله، ثم في تتابعها في البيت بعد البيت في كل قصيدة، أو قسم من قصيدة ، والانسجام بين جانبي الإيقاع والجرس هو الذي يصدر ما نسميه بالنغم الشعري وهو اجتماع الأصوات اللغوية تحت تنظيم الإيقاع في تموج يعلو ويهبط ويلين ويشتد متلائما مع تموج الفكرة والانفعال "[٣] ، ويعتمد الإيقاع الداخلي في إحدى جوانبه على التكرار وهو أن " بنية الشعر تقوم على وحدات نغمية تتكرر بانتظام داخل البيت الشعري ، وبتكرار الأبيات تتكون القصيدة، فالتكرار هو البنية الأساسية للبيت، وبالتالي للقصيدة ، ويفرض تكرار الوحدات النغمية نظاما من الوحدات النحوية المعجمية أي إن التكرار يخلق أنماطا من التوازيات الموزعة داخل النص الشعري "[٤] ، والإيقاع ليس مقصورا على تطريب الآذن، وإنما" لكل من الصوت، والمضمون، والكلمة، دور في العمل الفني ، وهذه الأدوار جميعها تعمل معا ضمن دائرة واحدة

([١])إعجاز القرآن والبلاغة النبوية تأليف مصطفى صادق الرافعي راجعه واعتنى به د/درويش الجويدي ط المكتبة العصرية صيدا بيروت سنة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م ص ١٧٧.

([٢])العروض وإيقاع الشعر العربي د/ سيد بحراوي ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣م ص ١١٢

([٣])الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه د/ محمد النهويهي ص ٣٩

([٤])الأسلوبية الصوتية مدخا نظري ودراسة تطبيقية تأليف إبراهيم جابر علي ط أمواج للطباعة والنشر والتوزيع سنة ٢٠١٥م ص ٢٨٠

مهمتها أولا أن تعبر عن داخلية الفنان وأحاسيسه ، ثم إيصال هذه الداخلية أو الأحاسيس للسامع أو المتلقي ، وبغير هذا الالتحام لا يتم العمل الفني ولا يؤدي دوره المطلوب " [١]

وقد تحدث ابن قتيبة عن الموسيقى الداخلية فقال :" وأحسن البلاغة الترصيع والسجع، واتساق البناء، واعتدال الوزن، واشتقاق لفظ من لفظ، وعكس ما نظم من بناء، وتلخيص العبارة بألفاظ مستعارة، وإيراد الأقسام موفورة بالتمام، وتصحيح المقابلة بمعان متعادلة ، وصحة التقسيم باتفاق النظوم، وتلخيص الأوصاف بنفي الخلاف ،والمبالغة في الرصف بتكرير الوصف، وتكافؤ المعاني في المقابلة والتوازي وإرداف اللواحق وتمثيل المعاني "[٢] ، وقد بين أحد النقاد علاقة الإيقاع بعناصر بناء القصيدة فقال :" إن الإيقاع يثير استجابتنا للمعنى الذي يريد توصيله بل إنه يثير استجابتنا كما يقول (جاري) للصوت، والصورة، والانفعال والفكرة، ولا يجب أن ننظر إليه على أنه مجرد حقيقة سيكولوجية ؛ لأنه عنصر إبداعي شأنه في ذلك شأن جميع العناصر الإبداعية الأخرى"[٣] ، ومن الموسيقى الداخلية الترصيع، وقد عرفه قدامه بن جعفر فقال :" ومن نعوت الوزن الترصيع وأن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع، أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف "[٤] ، ومن ذلك قول الحطيئة :

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

وذاك امرؤ إن يعطك اليوم نائلا بكــفيه لا يمنــعك من نـــائل الغد

فمقاطع هذين البيتين اعتمدتا على السجع في قوله :" تأته –تعشو –ناره–خير–نار–خير –يعطيك – يمنعك–نائلا –نائل" ولعل تكرار هذه الحروف على نسق معين، وخلال مقاطع معينة يضفي على البيت الشعري موسيقى داخلية تلذ الأذن لسماعها، هذا فضلا عن دورها الأساسي في بناء الفكرة، والإشعار بعاطفة الرضا تجاه هذا الممدوح الذي لا تنطفئ ناره، ويعطي كل يوم ، وهذا يتوافق مع نفسية الشاعر الذي عُرِفَ بحبه للمال، وإلحاجه في طلبه، ورغبته في الاستزادة منه، فالممدوح وافق هوى في نفسه فبالغ الشاعر في الوصف؛ ليبلغ مكانة في نفس الممدوح الذي يهوى الإطراء، والثناء، وهكذا توافقت الرغبتان رغبة الشاعر في العطاء، ورغبة الممدوح في الثناء ،ولذا جاءت الموسيقى الداخلية؛ لتحاكي هذا الرضا النفسي ؛ولتشيع جوا من البهجة والطرب خلال كلمات لها رنين، وتنتهي بحروف متشابهة؛ لتحاكي هذا الرنين العذب . وتأتي

([١])عضوية الموسيقى في النص الشعري د/ عبد الفتاح نافع صالح ط مكتبة المنار ص ٦٠

([٢])جواهر الألفاظ لابن قتيبة ت محمد محي الدين عبد الحميد ط الخانجي ص ٣

([٣])إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي د/ محمد العبد ص ٣٣

([٤])نقد الشعر قدامه بن جعفر ت د/ محمد عبد النعم خفاجي ط دار الكتب العلمية ص ٨٠

الأبيات الثلاثة الأخير من هذه القصيدة؛ لتحاكي جو المرح والسرور والبهجة التي أصابت الشاعر جراء هذا العطاء خلال الموسيقى الداخلية الواردة في قوله:[١]

وأنـــــت امـــرؤ تـــهـدم صـــفـاته ويرم فـلا يهـدم صفـــاتـــــك مرتدي
ســـــواء عـــليه أي حـــين أتيـــــته أفي يـــوم نحس كان أو يوم أســعد
هو الواهب الكـــوم الصفايا لجـــاره يروح بها العـبدان في عـــارب ندى

ولقد كان الحطيئة يحرص على الموسيقى الداخلية ويتوخاها في بناء قصائده فمن الترصيع قوله:[٢]

فـــإن أبـــاهم الأدنـــى أبـــــوكـــــم وإن صـــدورهـــــم لـــكم بـــــــراء
وإن سعـــــاتهـــم لكـــم سعـــــــاة وإن نمـــــاء هم لكـــــــم نمـــــــــاء
وإن سنـــــاء هم لـــــكـــــم سنـــــاء وإن وفـــــاء هم لـــــكم وفـــــــاء
وإن بلاء هم مـــا قـــــد علمـــتم على الأيـــــام إن نفـــع البـــــلاء

والأبيات السابقة اعتمدت على الترصيع في بناء الموسيقى الداخلية، وحسن التقسيم، ولذا زادت حسنا على حسن، وآية ذلك أن الفكرة التي يتحدث عنها الشاعر تحتاج إلى هذا التلازم، والانسجام الموسيقى ، فالشاعر يتحدث عن رهط أكرموه ، وأحسنوا إليه ، وهم بنو قريع، ويلقي باللوم على أبناء عمومتهم الذين خذلوه ، ولم يحسنوا إليه، وبخلوا بما عندهم، وتركوه حتى كاد أن يهلك؛ ولذا جاءت موسيقى هذه الفكرة متلائمة معها تحاكي حال القوم :" أباهم أبوكم- سعاتهم سعاة- نماؤهم نماء- سناؤهم سناء - وفاؤهم وفاء" ، وهذا التناسب البين بين هذه الكلمات التي زاوجت بين المصدر وخبره فأحدثت دوي موسيقي هائل، عبر عن الفكرة التي اختمرت في ذهن الشاعر، فضلا عن تكرار الحروف على مسافات متباينة، ومتناسبة في آن واحد، وهذا يجعل "الإيقاع الداخلي للبيت بطيئا مما يسمح للقارئ أو السامع بوقفه قصيرة بعد كل جزء، ليتذوقه، ويستجلي معنى الخطاب"[٣].

التصريع: وهو عبارة عن جعل مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها"[٤] ، وقد جاءت دالية الحطيئة على وزن بحر الطويل مصرعة في قوله:

ألا حـبذ هنـد وأرض بهـا هـــــند وهند أتى مـــن دونـــها النـــأي والبـــعد

([١])ديوان الحطيئة ص ٧٠.

([٢])السابق ص ٣٤.

([٣])إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي د/ محمد العبد ص ٤٠

([٤])نقد الشعر ص٨٦

ومع أن التصريع يكون في ابتداء القصيدة إلا أن الشاعر صرع في البيت الثاني بالزيادة، والتصريع وافقت العروض الضرب فزادت بزيادته مع أن المعروف عن بحر الطويل أن عروضه دائما مقبوضة، ولكنها جاءت تامة لأجل التصريع، وهذا يدل على حذق الشاعر، وقدرته على إتمام الموسيقى للإعلان عن الحدث التام الذي يريد أن يجذب سمع القارئ إليه، وهو يتحدث عن خيال "هند" الذي أتى لزيارته على الرغم من رحيلها إلى مكان بعيد يصعب الوصول إليه . ويأتي التصريع بالنقص في هذه القصيدة :

عفــا مسحلان من سلــمى فخـــامــره تمـــــشي بـــــه ظلـمانه وجـــآذره

والقصيدة من بحر الطويل ، والتصريع جاء بالنقص فعروضه وضربه مقبوضان والقبض هو حذف الخامس الساكن فتصير مفاعيلن مفاعلن ، وتوافق العروض والضرب في الموسيقى، يشعر القارئ بقيمة الأبيات، ويدفعه إلى الإنصات فإذا سمع شطر البيت الأول تبادر إلى ذهنه موسيقى الشطر الثاني كما أن "كثرة الحركات الطويلة في مطلع القصيدة يعني طول مدة الاستغراق الزمني للنطق بها فالحركة الطويلة –أيا كان نوعها –أطول مدى من أي صامت فهي تستغرق من ٢٢٥–٣٥٠م ث بينما تتراوح مدة النطق بالصوامت ٦٠–١٧٠على ١٠٠٠م ث ويبلغ عدد الحركات الطويلة في هذا المطلع تسع حركات بينما يتراوح معدلها في بقية أبيات القصيدة من ٤–٦ وقلما جاوز ذلك بحركة أو حركتين"[١] وهكذا وجدنا المطلع يتسم بسمتين الأولى التصريع ، والأخرى الحركات الطويلة التي تتطلب وقتا زائدا في نطق البيت وكل ذلك " يرتبط بغلبة الجانب الموسيقي أو الإيقاعي التطريبي على الوثبة الشعرية الأولى"[٢] ومن المطالع المصرعة قول الشاعر:

هل تعرف الدار مذ عامـين أو عام دارا لهــند بجـزع الخـــرج فالــدام

والقصيدة من بحر البسيط وعروضها وضربها مقطوعان والقطع هو حذف ساكن الوتد المجموع وإسكان ما قبله ، وبذلك حدث توازن موسيقي بين القافية والضرب ، واعتمد الشاعر في البيت الأول على الحركات الطويلة فجاءت سبع حركات ، وهذا يعطي القارئ مدة زمنية أطول حين ينطق البيت الأول من القصيدة، والشاعر بذلك يعده نفسيا؛ ليتلقى هذا النغم الساحر الخارج من عاطفة جياشة وطبع موات، وهو بصدد الحديث عن المكان الذي أثار شجونه، وحرك خياله؛ ليستجمع الذكريات التي ربطته بهذا المكان برباط معنوي حركت مكامن شعوره لتخرج ما فيه من عذابات النفس، ونوازع الوجدان، وألحظ أن الحطيئة لم يعتمد على التصريع في غالب قصائده

([١])إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي د/ محمد العبد ص ٤٣ .

([٢])السابق ص ٤٣.

فعندما مدح سعيد بن العاص لم يلجأ إلى التصريع وذلك في قوله :

لعمري لقد أمســـى على الأمر سائس بصير بما ضـر العـدو أريـــب

وعندما مدح سعيد بن العاص قدم للمدح بمقدمة طللية ولجأ إلى التصريع في قوله:

أمن رســم دار مربـع ومصـــيـــف لعينيـك مـن مـاء الشـئون وكـيف

ولما مدح الحطيئة بغيضا لم يقدم لمدحته بالمقدمة الطللية ولم يصرع وذلك في قوله:

ألا أبلغ بني عوف بن كعب وهل قوم على خلق سواء

وهذا يدل على أن الشاعر يصرع القصيدة لغرض في نفسه وقد لا يبدأ بالتصريع.

موسيقى الحروف والألفاظ :

التكرار: يعد تكرار الحرف ظاهرة صوتية تؤثر في الإيقاع، وذلك إذا جاءت" على أبعاد متناسبة لسلامة الجرس ، وصحة الإيقاع في بناء الجملة أو النسق، وأن هذا النوع من التكرير عمل تلقائي في أكثر الأحيان يأتي من المتكلم اللماح الخيال دون عمد إليه كما أنه يأتي قصدا لمن شاء، فيحسن تارة، ويقبح أخرى وليس كل ناقر على الأوتار عازفا "[١] وأبدأ بالحديث عن تكرار الحرف في الصورة التي رسمها الحطيئة لعمر بن الخطاب وذلك في قوله:

أمين الخليفة بعد الرسول وأوفى قريش جميعا حبالا

وأطولهم في الندى بسطة وأفضلهم حين عدوا فعالا

أتتني لسان فكذبتها وما كنت أرهبها أن تقالا

بأن الوشاة بلا جرمة أتوك فراموا لديك المحالا[٢]

ومن ينعم النظر في الأبيات السابقة يلحظ أن الشاعر كرر صوت اللام اثنتى عشرة مرة وتكرر صوت النون ثلاث عشرة مرة ، وألحظ أن الشاعر كرر صيغة أفعل التفضيل عدة مرات وذلك؛ ليؤثر في نفسية الإمام العادل عمر بن الخطاب ويحمله ذلك على العفو عنه، وذلك في قوله: " أوفى –أطولهم –أفضلهم " ،ولكن أنى له ذلك؟! والخليفة يحكم بالعدل، ويزن الأمور بميزان دقيق فلم يحكم في القضية إلا بعد أن استشار حسان بن ثابت.

([١])التكرير بين المثير والتأثير د/ عز الدين علي السيد ط دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة ط الأولى سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م ص ٥٥.

([٢])ديوان الحطيئة ص ١٥٣.

ويأتي تكرار الحرف للدلالة على الانسجام الموسيقي في الكلمات وللدلالة على المعاني الإيحائية في النص كما في قول الشاعر:[1]

ألا من لقلب عارم النظرات يقطع طول الليل بالزفرات

إذا ما الثريا آخر الليل أعنقت كواكبها كالجزع منحدرات

هنا لك لا أخشى مقالة قائل إذا انتبذ العزاب في الحجرات

إن من ينعم النظر في هذه الأبيات يلحظ تكرار صوت "الطاء" في قوله: "يقطع" ووزنها يفعَّل، وصيغة التفعيل تعني التكثير، وصوت الحرف المكرر أسهم في زيادة الإيقاع ، وأفاد معاني إضافية جاءت من هذا التضعيف ، كما أن كلمة الزفرات جاءت الزاي مضعفة ،وهذا يسهم في إيقاع البيت ، وفي الدلالة على كثرة هذا الزفير طول الليل ، وهذا يدل على السهد وسهر الليالي من جراء أمور أثرت في نفسية الشاعر ، ودفعته دفعا إلى اختيار هذه الكلمات التي تعبر عما في نفسه من حزن والم.

ومن تكرار الحرف قول الشاعر:

ألم ترى أن ذبيانا وعبسا لباغي الحرب قد نزلا براحا

يُقال الأجربان ونحنُ حيٌّ بنو عم تجمعنا صلاحا

منعنا مدافع الثلبوت حتى تركنا راكزين به الرِّماحا

نقاتل عن قُرى غطفان لما خشينا أن تذلَّ وأن تباحا

في الأبيات السابقة كرر الشاعر صوت النون تسع عشرة مرة ، وهذا التكرار له دلالة في النص ففي معظم الكلمات التي وردت فيها النون أجد أنها جاءت للفخر بالنفس والعزة والغلبة على الخصوم ، وتفخيم الذات ، ومن ذلك قوله :"نحن –منعنا –تركنا – نقاتل – خشينا "، ولعل مجيء النون المكررة على أبعاد متناسبة في الكلمات السابقة يسهم في بناء الإيقاع الداخلي للنص ، ويحاكي المعاني التي أراد الشاعر أن يثبتها لنفسه وقومه ، وتكرر صوت الباء عشر مرات ، والميم كذلك ، والحاء سبع مرات ، والعين ست مرات ، وهذه الأصوات المكررة تزيد الإيقاع الموسيقي لهذه الأبيات ، وهذا يؤكد أن الحطيئة كان يحوك قصائده بعناية فائقة ، ويختار كلماته؛ لتعبر عما يدور بخاطره من مشاعر وأنات حائرة.

([1])السابق ص ٥٤.

ومن تكرار الحرف قول الشاعر :[١]

ولست ارى السعادة جمع مال ولكنَّ التقي هو السعيدُ

وتقوى الله خير الزاد ذخرا وعند الله للأتقى مزيد

وما لابد منه ان يأتي قريب ولكنَّ الذي يمضي بعيدُ

لقد كرر الشاعر صوت السين خمس مرات في ثلاث كلمات مما زاد من إيقاع البيت ، وكرر صوت التاء خمس مرات في خمس كلمات كما كرر صوت النون ثماني مرات ، وهذا التكرار لهذه الحروف أسهم في بناء الموسيقى الداخلية لهذه الأبيات كما أسهم في بناء المعنى ، فالسعادة والسعيد ، والتقوى والأتقى ،والقريب والبعيد ، كلها معاني مستقاة من المعاني الإسلامية التي تدور في حياة المسلم كلها ، وورود هذه الألفاظ تعد أول بادرة من بوادر قرب الحطيئة من الإسلام.

تكرار الكلمات:

قد يستعذب الشاعر كلمات فيكررها ابتهاجا بها ؛لأنها تركت أثرا نفسيا لدبه ومن ذلك قوله:

إن الرزية لا أبا لك هالك بين الدِّماخ وبين دارة خنزر

تلك الرزية لا رزية مثلها فاقني حياءك لا ابا لك واصبري

كرر الشاعر كلمة" رزية" ثلاث مرات ، وهذا التكرار له دلالة في بنية النص؛ لأنها تدل على نزول المصيبة بهم وأنهم شغلوا بمجد آبائهم، ولم يصنعوا شيئا يذكرون به .ومن تكرار الكلمة قول الحطيئة :[٢]

أبى لك آباء أبى لك مجدهم سوى المجد فانظر صاغرا من تنافره

قبور أصابتها السيوف ثلاثة نجوم هـــوت في كـــل نجـــم فـــــرائده

فقبر بأجبال وقبر بحـاجر وقـبر القلـيب أسـعر الحـرب ســـاعره

وشر المنايا هالك وسط أهله كهـــلك الفـــتاة أيقـــظ الحـــي حـــاضره

كرر الشاعر هذه الكلمات " أبى لك ، وقبور وقبر ، وهالك، وهلك ، وهذه الكلمات لها دور في بناء القصيدة لأن الشاعر يفضل عيينة بن حصن على زبان بن سيار، ولذا يفخر بأن آل عيينة قُتلوا في ساحات المعارك ، وصارت قبورهم علامات بارزة في تاريخ العرب ،وهم أفضل من آل زبان

([١])ديوان الحطيئة ص ٧٩.

([٢])ديوان الحطيئة ص ١١٥ .

الذين يموتون حتف أنوفهم على فرشهم، ولذا كرر كلمة قبر بدلالتها الإيحائية والموسيقية للدلالة على عظم هذه القبور، وعظم أصحابها الذين خاضوا غمار المعارك وقتلوا في ساحاتها.

ومن تكرار الكلمة قول الشاعر:

لنعم الحي حي بني كليب إذا ما أوقدوا فوق اليفاع

ونعم الحي حي بني كليب إذا اختلط الدواعي بالدواع

ألم تر أن جار بني زهير ضعيف الحبل ليس بذي امتناع

وليس الجار جار بني كليب بمقصي في المحل ولا مضاع

هم صنع لجارهم وليست يد الخرقاء مثل يد الصناع

ويحرم سر جارتهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاع

وجارهم إذا ما حل فيهم على أكناف رابية يفاع

كرر الشاعر جملة " لنعم الحي حي بني كليب " مرتين ، وكرر كلمة "جار" سبع مرات في هذا النص ، وهذا يدل على أن مدار هذه الأبيات حول الحديث عن جار بني كليب ، وهذا التكرار يثري الموسيقى الداخلية في النص، كما أن له دلالة في تكوين بنية النص، وهي إشعار المستمع بعزة هؤلاء القوم، وسيادتهم وقوة بأسهم، وذلك ظاهر من خلال قوة جارهم، وعزته المستمدة من عزهم وقوتهم ، ومما سبق يتبين لي أن التكرار له دلالة موسيقية وإيحائية وهو يعد "إلحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها ، وهذا هو القانون الأول البسيط الذي نلمسه كامنا في كل تكرار يخطر على البال، فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه"[١]

ومن تكرار الكلمة قول الحطيئة :[٢]

ألا طرقتنا هند بعد ما هجدوا هند وقد سرن خمسا واتلائب بنا نجد

ألا حبذ هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأي والبعد

وهند أتى من دونها ذو غوارب يقمص بالبوصي معروف ورد

كرر الشاعر اسم "هند" ست مرات في ثلاثة أبيات متتالية ، وهذا يدل على تعلقه بهند، واستعذابه

([١])قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة ط منشورات مكتبة النهضة ص ٢٤٢.

([٢])ديوان الحطيئة شرح أبي سعيد السكري ط دار صادر بيروت ص ٣٩.

لاسمها مع حلاوة جرسه ،وقد علق على هذين البيتين ابن سنان الخفاجي عندما نقل كلام شيخه أبي العلاء بن سليمان إذ قال: "من حبه لهذه المرأة لم ير تكرير اسمها عيبا ؛ ولأنه يجد للتلفظ باسمها حلاوة فلم ير من الاعتذار للتكرير إلا هذا العذر"[١] وقد علق الدكتور على الجندي على كلام ابن سنان بقوله :"وهو عذر جاوز حد القبول" [٢] وأرى أن هذا العذر لم يجاوز حد القبول؛ لأن الشاعر شغوف بهذه المرأة، وبالحديث عنها، ولذا كرر اسمها فرحا بذلك، وابتهاجا بما يدور في خلده من حب لها.

ومما سبق نعلم أن الموسيقى الداخلية تمثلت في الترصيع، والتصريع ،والتكرار بنوعيه ،تكرار الحرف، وتكرار الكلمة ، وأن هذه الألوان أسهمت في البناء الموسيقي الداخلي، وفي دلالات الألفاظ، وفي بناء التجربة الشعرية، وأن الشاعر حشد كل طاقاته الإبداعية؛ لتخرج قصائده غاية في الجودة والإبداع، وأن المحاكاة الصوتية أسهمت في هذا البناء الشامخ خلال الأصوات التي اختارها الشاعر وكررها، لتوحي بمعان إيحائية جديدة في النص الشعري.

([١])سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ص ١٠٣.

([٢])البلاغة الفنية علي الجندي مكتبة الأنجلو المصرية ط الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦م ص ٢١٩.

الخاتمة

الحمد لله الذي بذكره تطمئن القلوب ،وصلاة وسلاما على المبعوث بالهداية رحمة للعالمين ،وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين وبعد

ـ فإن المحاكاة الصوتية لها أثر بارز في بناء القصيدة العربية ، وخاصة لدى الشعراء المنقحين الذين عنوا بانتقاء كلماتهم ، ومعاودة النظر فيها .

ـ إن المحاكاة الصوتية تأتي في القصيدة العربية دون عمد ؛وذلك نتيجة قوة العاطفة ، والروية في اختيار الألفاظ والعبارات.

ـ كل صوت من أصوات اللغة العربية له سمة خاصة تميزه عن غيره من الأصوات من حيث المخرج والصفة والقوة والضعف.

ـ المحاكاة الصوتية تدخل ضمن ما يسمى بمشاكلة اللفظ للمعنى ،والذي يعد بابا من أبواب عمود الشعر العربي.

ـ المصادر الرباعية المضعفة لها دخل في محاكاة اللفظ للمعنى فكثير من أصوات اللغة له دخل في الأحداث التي تعبر عنها الكلمات.

ـ تضعيف الصوت له دخل في دلالة الكلمة وإيحاءاتها.

ـ تتفاوت الحروف من حيث القوة والضعف ، فالحرف الأضعف يناسب المعنى الضعيف ، والحرف القوي يناسب المعنى القوي ،ولكل ما يشاكله ،وتلك خاصية من خواص اللغة العربية.

ـ المحاكاة الصوتية لا توجد في كل كلمات اللغة ،فهناك بعض الحروف له علاقة بدلالة الكلمات ، وبعضها ليس له علاقة بدلالة الكلمات ، والعبرة في ذلك ـ كما قال العقادـ بموقع الحرف من الكلمة لا بدخوله في تركيبها.

ـ الحطيئة ينتمي إلى مدرسة شعرية تقدر دور الكلمة ؛ولذا حرص على انتقاء كلماته، وصقلها، وتهذيبها، وتنقيحها، ومراجعتها ، وجاءت المحاكاة الصوتية في شعره نتيجة اختياره أصواتا لها صفات معينة أسهمت في بناء الدلالة.

ـ الصفات الخاصة ببعض الحروف لها دخل في الدلالة على معنى الكلمة كالتكرار، والتفشي، والصفير، والذلاقة .

ـ حروف الكلمة لها دخل في بناء الفكرة ، وقد وضح ذلك خلال الأفكار التي عالجها الشاعر ، واختار لها كلمات ذات دلالات إيحائية أسهمت في إنضاج التجربة الشعرية .

ـ أسهمت أصوات الكلمة في إثراء الصورة الفنية ، والتعبير عنها بعاطفة صادقة ، وخيال متوثب، يرصد أجزاء الصورة ، ويربط بين جزئياتها ؛لتخرج بناء متآذرا لا يمكن فصل جزئياته ، وإلا انهدم صرح التجربة الشعرية، وتبعثرت معالمها.

ـ الموسيقى الداخلية قامت بدور بارز في إكمال الإيقاع، وتقوية النغم الشعري المنبعث من الأصوات المتقاربة في المخرج، والمتحدة في بعض الصفات ، وهذا يعني أن الشاعر يختار كلمات ذات موسيقى، لها نغم يسري في مشاعر المستمع فيغذي روحه ، ويحرك خياله ؛ليسبح في عالم مثالي له قيم منبعثة من التراث الديني، والأخلاقي اختزنها الشاعر في ذاكرته، وعبر عنها بكلمات عذبة سلسة لتحيا في وجدان المستمع فيترنم بها؛ لتعيش في قلبه.

والحمد لله أولا وآخرا

فهرس المصادر والمراجع

أشتات مجتمعات في اللغة والأدب عباس العقاد ط مؤسسة هنداوي
بحوث ومقالات في اللغة د / رمضان عبد التواب ط مكتبة الخانجي بالقاهرة ط الأولى سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م
من أسرار اللغة د / إبراهيم أنيس ط الثالثة ١٩٦٦ ط مكتبة الأنجولو المصرية
أسرار الحروف أحمد زرقة ط دار الحصاد ط الأولى ١٩٩٣م
إعجاز القرآن والبلاغة النبوية تأليف مصطفى صادق الرافعي راجعه واعتنى به د/درويش الجويدي ط المكتبة العصرية صيدا بيروت سنة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر د/ عبد القادر القط ط مكتبة الشباب ١٩٨٨م.
الأسلوبية الصوتية مدخل نظري ودراسة تطبيقية تأليف إبراهيم جابر علي ط أمواج للطباعة والنشر والتوزيع سنة ٢٠١٥م ٠
الأسلوبية بيير جيرو ترجمة منذر عياش ط الثانية ١٩٩٤ط دار الحاسوب للطباعة حلب مركز الانماء الحضاري
الأسلوبية والخطاب الشعري "الشريف الرضي نموذجا محمود أحمد الطويل ط الهيئة العامة لقصور الثقافة.
الأصوات اللغوية د إبراهيم أنيس ط مكتبة نهضة مصر بالفجالة ط الثانية سنة ١٩٥٠ م
الأغاني ج ٢ بتصحيح الأستاذ الشيخ أحمد الشنقيطي ط مطبعة التقدم بشارع محمد علي
البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث د/ مصطفى السعدني ط منشأة المعارف بالإسكندرية
البيان والتبين للجاحظ ت عبد السلام هارون ط مكتبة الخانجي بالقاهرة .
التكرير بين المثير والتأثير د/ عز الدين علي السيد ط دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة ط الأولى سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
الخصائص لابن جني ت محمد علي النجار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة.
الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه تأليف الدكتور/ محمد النويهي الجزء الأول ط الدار القومية للطباعة والنشر.
الشعر والشعراء تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ج١ ط دار الحديث
الصورة الأدبية في القرآن الكريم د/ صلاح الدين عبد التواب ط الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ط الأولى سنة ١٩٩٥م
الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري د/ علي البطل ط دار الأندلس
العروض وإيقاع الشعر العربي د/ سيد بحراوي ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣م

الكتاب سيبويه ت عبد السلام هارون ط دار الجيل بيروت
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير قدمه وعلق عليه د / أحمد الحوفي و د/ بدوي طبانه القسم الثاني ط دار نهضة مصر للطبع والنشر ط الثانية
المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية د/ محمد حسن حسن جبل ط مكتبة الآداب ط الرابعة سنة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م
المزهر في علوم اللغة وأنواعها للعلامة جلال الدين السيوطي شرحه محمد أحمد جاد المولي بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ج١ ط منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت ص٥٣
النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال ط نهضة مصر سنة ١٩٩٧م
جواهر الألفاظ لابن قتيبة ت محمد محي الدين عبد الحميد ط مكتبة الخانجي
دراسة الصوت اللغوي تأليف د/ أحمد مختار عمر ط عالم الكتب
ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت دراسة وتبويب د/مفيد محمد قميحة ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى
سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى
طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ج١ ت محمود محمد شاكر تقديم أد/ عبد الحكيم راضي ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سنة ٢٠٠١م.
عضوية الموسيقى في النص الشعري د/ عبد الفتاح نافع صالح ط مكتبة المنار
فقه اللغة في الكتب العربية د / عبده الراجحي ط دار النهضة العربية للنشر والتوزيع
في التطور اللغوي د/ عبد الصبور شاهين ط مؤسسة الرسالة ط الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
في الدرس الصوتي د/عبد المنعم عبد الله حسن ط الأولي ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م
قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة ط منشورات مكتبة النهضة.
كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ت عبد الحميد هنداوي ج٣ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان
كتاب العين للخليل بن أحمد تحقيق د/ عبد الله درويش مطبعة العاني بغداد ١٨٨٦-١٩٦٧م ج١
مدخل إلي علم اللغة محمود فهمي حجازي ط دار قباء للنشر والتوزيع
معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د/ أحمد مطلوب ط مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م.
معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مجدي وهبة وكامل المهندس ط مكتبة لبنان ط الثانية ١٩٨٤م
مفهوم الشعر دراسات في التراث النقدي د/جابر عصفور ط الخامسة ١٩٩٥ط الهيئة العامة للكتاب
نقد الشعر قدامه بن جعفر ت د/ محمد عبد النعم خفاجي ط دار الكتب العلمية
نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد تأليف الشيخ محمد مكي نصر الجريس ط دار الكتب العلمية بيروت